قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

تأليف
السيّد محمّد بن علوي بن عبّاس المالكي المكّي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فهذه صفحات في العقيدة الإسلامية وأركان الدين مما يحتاج إليه المسلم.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني

لا إله إلا الله:

أما بعد: فإنا نعلم ونعتقد، ونؤمن ونوقن ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ومعنى ذلك أنه لا معبود بحق، ولا مستغني عما سواه ولا مفتقر إليه كل ما عداه إلا الله تعالى (وحده لا شريك له). ويندرج في ذلك جميع العقائد المتعلقة به تعالى.

فهو إله عظيم، ملك كبير، لا رب سواه، ولا معبود إلا هو.

هو الأول الذي لا ابتداء لوجوده فلا ابتداء لأوليته وهو الآخر الذي لا انتهاء لوجوده فلا انتهاء لآخريته.

وهو (الأحد) المنفرد في ألوهيته وربوبيته فلا شريك له (الصمد) المقصود في الحوائج على الدوام لكمال قدرته.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1].

فلا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

ليس كمثله شيء:

وأنه تعالى مقدس عن الزمان والمكان فلا يقارنه زمان ولا يحويه مكان إذ هو الخالق للزمان والمكان فكيف يحتاج إليهما؟

وأنه تعالى منزه عن مشابهة شيء من المخلوقات في شيء من أوجه الشبه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3].

---

(١) سورة الاخلاص.
(٢) سورة الشورى. آية ١١.
(٣) سورة الشورى آية ١١.

فلا تحيط به الجهات كقدام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال، إذ هي حادثة بحدوث الأشياء والله تعالى منزه عن ذلك.

وهو سبحانه وتعالى، لا تعتريه الحادثات كالأمراض والاحتياج والحركة والسكون والجوع والشهوة ونحو ذلك مما يحدث للخلق وينافي الجلال والكمال الإلهي. فهو سبحانه منزه عن صفات المخلوقين. ونؤمن بما جاء في كتاب الله من صفات الله جل جلاله على مراد الله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

على العرش استوى:

فنؤمن بالإستواء الذي قال عنه تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] استواء يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه.

فالإيمان بالإستواء واجب وإن جهلت حقيقة العرش وكيفية استوائه تعالى عليه، ولما قام البرهان على تنزهه تعالى عن الحيز والمكان والجهة وسائر لوازم الحدوث وجب أن يكون استواؤه على عرشه لا بمعنى الإستقرار والتمكن بل بالمعنى اللائق بجلاله تعالى. ونؤمن باليد كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] ونؤمن بالعين كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[3] وقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[4].

ونؤمن بكل ما جاء عن الله في كتاب الله على مراد الله.

---

(١) سورة طه آية ٥.
(٢) سورة الفتح آية ١٨. ١٠
(٣) سورة الطور آية ٤٨.
(٤) سورة طه آية ٣٩.

القريب:

وأنه تعالى قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد وعلى كل شيء رقيب وشهيد.

وقربه تعالى كما يليق بجلاله، لا قرب مكان لاستحالته عليه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[1] أي بعلمه المحيط وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2] أي بعلمنا، بقرينة قوله تعالى قبله ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[3]. وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[4].

أي بعلمه المحيط، بقرينة قوله قبله:
﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[5].

الحي القيوم:

وأنه تعالى «حي» متصف بالحياة الدائمة، التي لا بداية لها، ولا نهاية «قيوم» عظيم القيام بتدبير خلقه.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[6].

والبديع: المبدع والمنشىء للأشياء بلا احتذاء ولا اقتداء.

---

(١) سورة الحديد آية ٤.
(٢) سورة ق آية ١٦.
(٣) سورة ق آية ١٦.
(٤) سورة المجادلة آية ٧.
(٥) سورة المجادلة آية ٧.
(٦) سورة البقرة آية ١١٧.

الوكيل :

وأنه تعالى الوكيل أي المتصرف في كل شيء كيف يشاء، أو حفيظ عليه أو شهيد ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾[1].

القدير :

وأنه تعالى هو القدير أي المتصف بالقدرة التامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾[2] فلا شيء من الممكنات وهي التي يجوز وجودها وعدمها إلا وهو في قبضة قدرته، وتحت قهره وسلطانه.

العليم :

وأنه سبحانه هو العليم أي المتصف بالعلم ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾[3] يعلم ازلا كل شيء. واجبا كان أو ممكنا أو مستحيلا، على وجه الإحاطة به على ما هو به دون سبق خفاء.

وأنه تعالى أحصى عدد كل شيء، وأحاط به ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[4] ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[5].

﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر آية ٦٢.
(٢) سورة البقرة آية ٢٠.
(٣) سورة البقرة آية ٢٩.
(٤) سورة الجن آية ٢٨.
(٥) سورة يونس آية ٦١.
(٦) سورة الحديد آية ٤.

﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾[1] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[2].

المريد:

وأنه تعالى مريد للكائنات فهو متصف بالإرادة، وهي تتعلق بإيجاد الأشياء الممكنة في أوقاتها المحدودة لها، على وفق ما سبق به العلم، فلا موجود منها إلا وهو مستند إلى مشيئته، وصادر عن إرادته فهو تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3] ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[4] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[5].

وأنه تعالى مدبر للحادثات ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾[6].

وأنه لا يكون كائن من خير أو شر، أو نفع، أو ضر إلا بقضائه ومشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يحركوا في الوجود ذرة أو يسكنوها دون إرادته تعالى لعجزوا عنه.

السميع البصير:

ونؤمن أنه تعالى سميع بصير - أي متصف بالسمع والبصر - لجميع الموجودات بدون حاسة وآلة، لتنزهه تعالى عن مشابهة الحوادث،

---

(١) سورة طه آية ٧.

(٢) سورة الأنعام آية ٥٩.

(٣) سورة البروج آية ١٦.

(٤) سورة المدثر آية ٣١.

(٥) سورة الأنعام آية ١٢٥.

(٦) سورة السجدة آية ٥.

فلا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير، وخفايا الوهم والتفكير، ولا يشذ عن سمعه دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

المتكلم:

ونؤمن أنه تعالى متكلم بكلام لا يشبه كلام الخلق ولا يصح أن نصف كلامه بغير ما جاء عنه تعالى لأن ذلك جراءة على الله تعالى فقد أخبر عن نفسه بأنه كلم موسى تكليما وأنه لا يكلم يوم القيامة بعض أرباب الكبائر فنكتفي بإثبات الكلام له سبحانه وتعالى مقتصرين على ما ورد في القرآن الكريم.

القرآن كلام الله:

ونؤمن بأن القرآن العظيم كلامه القديم، وكتابه المنزل على نبيه ورسوله محمد ﷺ.

واعلم بأن القرآن يطلق بالإشتراك على معنيين: أحدهما - الكلام القديم والثاني النظم المقروء المسموع المحفوظ المكتوب بين دفتي المصحف، وهو كتاب الله تعالى المنزل على رسوله بلسان جبريل عليه السلام، المنقول بالتواتر المعجز للبشر، وهو بالمعنيين كلام الله تعالى.

وتسميته بالمعنى الأول كلام الله باعتبار أنه صفة له تعالى قديمة أزلية وبالمعنى الثاني باعتبار أنه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ • فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[2] وبحروفه في لسان

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) سورة البروج آية ٢١.٢٢-٢٢

الملك جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[1] وهو بهذا المعنى محدث من الله ولكن لا يقال فيه محدث إلا في مقام التعليم واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى القرآن بالمعنى الأول.

كما أنه بهذا المعنى دال على ما يدل عليه الكلام القديم، فإذا سمعت مثلا آية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[2] فهمت منها النهي عن قربانه، ولو كشف عنك الحجاب وسمعت الكلام الأزلي تفهم منه هذا المعنى بعينه، فمدلولهما واحد وان اختلف الدال.

ولا يجوز لأحد أن يعتقد أن الرسول ﷺ تصرف في اللفظ المنزل عليه، أو أنه رواه بالمعنى كرواية الحديث بالمعنى للعارف، لأنه لو صح في حقه ذلك لكان مبينا لنا صورة فهمه صلى الله عليه وسلم لا صورة ما نزل عليه وقد قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4].

الخالق الرازق:

وأنه سبحانه الخالق لكل شيء، والرازق له والمدبر له والمتصرف فيه كيف يشاء ليس له في ملكه منازع ولا مدافع، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[5]

---

(١) سورة التكوير آية ١٩.
(٢) سورة الإسراء آية ٣٢.
(٣) سورة النحل آية ٤٤.
(٤) سورة المائدة آية ٦٧.
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٣.

الحكم العدل:

وأنه تعالى حكيم في فعله، عدل في قضائه، لا يتصور منه ظلم ولا جور ولا يجب عليه لأحد حق بل الحق واجب له على كل أحد، إذ هو سبحانه الرب المنعم المتفضل بالإيجاد والإمداد، والتدبير والإرشاد، والانعام على جميع العباد ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1].

ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائرا عليهم، ولا ظالما لهم، فإنهم ملكه وعبيده، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2] يثيب عباده على الطاعات فضلا وكرما، ويعاقبهم على المعاصي حكمة وعدلا.

وان طاعته واجبة على عباده بإيجابه على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

ونؤمن بكل كتاب أنزله الله وبكل رسول أرسله الله وبملائكة الله تعالى وبالقدر خيره وشره.

محمد رسول الله:

ونشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أرسله إلى الجن والإنس، والعرب والعجم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وأنه صادق أمين، مؤيد بالبراهين الصادقة، والمعجزات الخارقة وأن الله فرض على العباد تصديقه وطاعته واتباعه.

---

(١) سورة النحل آية ١٨.

(٢) سورة فصلت آية ٤٦.

وأنه لا يقبل إيمان عبد - وإن آمن به سبحانه - حتى يؤمن بمحمد ﷺ، وبجميع ما جاء به، وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ.

«ومن ذلك» أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى عن التوحيد والدين والنبوة وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذابه لأهل المعصية. وأن يؤمن بالبعث بعد الموت. وبحشر الأجساد والأرواح إلى الله. وبالوقوف بين يدي الله. وبالحساب وأن العباد يتفاوتون فيه إلى مسامح ومناقش. وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وأن يؤمن بالميزان الذي توزن فيه الحسنات والسيئات وبالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم، وبحوض نبينا محمد ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وماؤه من الجنة.

وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء، ثم الصديقين والشهداء والعلماء والصالحين والمؤمنين وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ وهي التي تكون في فصل القضاء وإلا فإن له صلى الله عليه وسلم شفاعات أخر.

وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد، حتى لا يخلد فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[1] وأن أهل الكفر والشرك مخلدون في النار أبد الآبدين، و ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[2] وأن المؤمنين مخلدون في الجنة أبدا سرمدا ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٦٢.

(٣) سورة الحجر آية ٤٨.

وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلاله وقدس كماله.

ويجب على العبد أن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ وأنهم عدول خيار أمناء. لا يجوز سبهم ولا القدح في أحد منهم. وأن الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ: «أبو بكر الصديق»، ثم «عمر الفاروق»، ثم «عثمان الشهيد» ثم «علي المرتضى» رضي الله تعالى عنهم. وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين.

الشهادتان

أما الشهادتان: فهما أصل الأصول التي من حرمها فهو من رحمة الله محروم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[1].

ومعنى «لا إله إلا الله»: نفي الألوهية عما سوى الله وإثباتها له وحده. والألوهية: استحقاق صفات الكمال كلها فلا معبود إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، ولا معطي ولا مانع إلا الله، ولا ضار ولا نافع إلا الله، وهكذا في جميع الملك والملكوت، لا يملك أحد مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا.

ولو أمكن أن يكون له سبحانه شريك في الألوهية لوجب أن يتصف ذلك الشريك بصفات الألوهية: من نفاذ القدرة، وشمول العلم والإرادة ولأدى ذلك إلى اختلاف الإرادات، فيريد أحد الإلهين مثلا وجود شيء

---

(١) سورة المائدة آية ٧٢.

ويريد الآخر عدمه، ومحال أن يحصل المرادان معا لاستحالة اجتماع الضدين، وكذلك أن لا يحصل شيء منهما، إذ يؤدي ذلك إلى فساد العالم وعدم وجود شيء فيه وهو باطل، ولم يبق إلا أن يحصل مراد أحدهما فقط، وذلك دليل على نفاذ قدرته واستحقاقه الألوهية، فدل ذلك بطريق العقل على امتناع الشريك في الألوهية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(٢).

ومعنى «محمد رسول الله»: أن تعتقد أن الله أرسل النبي الأمي، العربي القرشي الهاشمي: محمدا ﷺ إلى كافة الجن والانس، وأيده بالوحي، وألزم الخلق طاعته فيما أمر به ونهى عنه. وتصديقه فيما أخبر به، ومنع كمال شهادة التوحيد بلا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسالة لمحمد ﷺ.

سيد ولد آدم
محمد رسول الله

اعلم أننا نعتقد اعتقادا جازما فيه ﷺ وهو الاعتقاد الموافق للواقع بأنه سيد عبيد الله على الاطلاق، وأقرب الوسائل إليه تعالى في مدة حياته ويوم القيامة التي تظهر فيه سيادته صلى الله عليه وسلم على النبيين والخلق أجمعين حتى يكون صاحب الشفاعة العظمى والمنزلة الزلفى، وحامل لواء الحمد تحته آدم فمن دونه، وكل الأنبياء يقر له

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢.
(٢) سورة المؤمنون آية ٩١.

بهذه السيادة حين يمنحها الله تعالى في ذلك اليوم على الأولين والآخرين والخلق أجمعين. وقد جاء ذلك صريحا في حديث البخاري ومسلم وهو قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» إلى آخر حديث الشفاعة المذكور فيه التجاء الناس لسادات الأنبياء، فيعتذر كل واحد منهم ويحيل على من بعده إلى أن يحيلهم سيدنا عيسى عليه السلام على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقبلهم ويقول لهم: «أنا لها أنا لها» ويشفع فيشفعه الله تعالى فيهم. وكان يمكن أن يأتيه الناس أولا ولكن الله تعالى ألهمهم الذهاب إلى سادات الرسل أوّلا حتى يظهر فضله صلى الله عليه وسلم عليهم وأنه سيد الخلق على الإطلاق وأحب الرسل إلى الملك الخلاق. وهذا المعنى وإن لم يعلمه بالتفصيل على هذا الوجه كثير من عوام المسلمين إلا أنهم يعلمون يقينا أنه صلى الله عليه وسلم بالإجمال هو سيد الخلق على الإطلاق في الدنيا والآخرة. وأنه مقبول الشفاعة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة. ويتوسلون به إليه عز وجل ليبلغهم مناهم في دنياهم وأخراهم فقد شاركوا في هذا المعنى أعلم العلماء، واستوى في علم ذلك الرجال والنساء، ويربون أولادهم على هذا الاعتقاد الصحيح والإيمان الصريح، فلا يبلغ الولد سن التمييز إلا ويشاركهم في هذا العلم في حق النبي ﷺ وكلما كبر يزداد ذلك رسوخا في قلبه ونموا بقدر ما قدر الله تعالى له من الهداية والتوفيق.

قل إنما أنا بشر

ونعتقد أنه صلى الله عليه وسلم بشر يجوز عليه ما يجوز على غيره من البشر من حصول الأعراض والأمراض التي لا توجب النقص والتنفير كما قال صاحب العقيدة:

وجـــــــائز في حقهم من عرض
بغـــير نقـــص كخفيـــف المرض

وأنه صلى الله عليه وسلم عبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]

وأنه صلى الله عليه وسلم قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين فانتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴾[3].

والعبودية هي أشرف صفاته صلى الله عليه وسلم ولذلك فإنه يفتخر بها ويقول: « إنما أنا عبد » ووصفه الله بها في أعلى مقام فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾[4].

وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾[5].

والبشرية هي عين اعجازه فهو بشر من جنس البشر لكنه متميز عنهم بما لا يلحقه به أحد منهم أو يساويه كما قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه: « إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » وبهذا ظهر أن وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشرية يجب أن يقترن بما يميزه عن عامة البشر من ذكر خصائصه الفريدة ومناقبه الحميدة، وهذا ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل هو عام في حق جميع رسل الله سبحانه

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٨.
(٢) سورة الزمر آية ٣٠.
(٣) سورة الأنبياء آية ٣٤.
(٤) سورة الإسراء آية ١.
(٥) سورة الجن آية ١٩.

وتعالى لتكون نظرتنا إليهم لائقة بمقامهم وذلك لأن ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هي نظرة جاهلية شركية، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك، فمن ذلك قول قوم نوح في حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾(١).

ومن ذلك قول فرعون وملائه في حق موسى وهرون فيما حكاه الله عنهم إذ قال:

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾(٢).

ومن ذلك قول ثمود لنبيهم صالح فيما حكاه الله عنه بقوله:

﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٣).

ومن ذلك قول أصحاب الايكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله:

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(٤).

ومن ذلك قول المشركين في حق سيدنا محمد ﷺ وقد رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله:

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾(٥).

ولقد تحدث رسول الله ﷺ عن نفسه حديث الصدق بما أكرمه الله تعالى به من عظيم الصفات وخوارق العادات التي تميز بها عن سائر أنواع البشر.

---

(١) سورة هود آية ٢٧.
(٢) سورة المؤمنون آية ٤٧.
(٣) سورة الشعراء آية ١٥٤.
(٤) سورة الشعراء آيات ١٨٥ - ١٨٦.
(٥) سورة الفرقان آية ٧.

فمن ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**» وجاء في الصحيح أنه قال: «**إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من أمامي**».

وجاء في الصحيح أنه قال: «**أوتيت مفاتيح خزائن الأرض**» وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قد مات إلا أنه حي حياة برزخية كاملة يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه صلاة من يصلي عليه، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل جسده فهو محفوظ من الآفات والعوارض الأرضية.

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**، قالوا يا رسول الله: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت؟ فقال: «**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه. وفي ذلك رسالة خاصة للحافظ جلال الدين السيوطي أسماها (إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام**» رواه أحمد وأبو داود.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وكل بقبري ملكا أعطاه الله أسماء الخلائق فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك**» رواه البزار وأبو الشيخ وابن حبان ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى وكل ملكا أعطاه أسماء الخلائق فهو قائم على**

قبري إذا مت فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان بن فلان، قال: فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا) رواه الطبراني في الكبير بنحوه.

وهو صلى الله عليه وسلم وإن كان قد مات إلا أن فضله ومقامه وجاهه عند ربه باق لاشك في ذلك.

ولا ريب عند أهل الإيمان أنه صلى الله عليه وسلم مهما عظمت درجته وعلت رتبته فهو مخلوق لا يضر ولا ينفع من دون الله إلا بإذنه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1].

مقام الخالق ومقام المخلوق

إن الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ونعتقد أن من خلط بين المقامين فقد كفر والعياذ بالله.

ولكل مقام حقوقه الخاصة، ولكن هناك أمور ترد في هذا الباب وخصوصا فيما يتعلق بالنبي ﷺ وخصائصه التي تميزه عن غيره من البشر وترفعه عليهم، هذه الأمور قد تشتبه على بعض الناس لقصر عقلهم وضعف تفكيرهم وضيق نظرهم وسوء فهمهم، فيبادرون إلى الحكم بالكفر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام ظنا منهم أن في ذلك تخليطا بين مقام الخالق ومقام المخلوق ورفعا لمقام النبي ﷺ إلى مقام الألوهية وإننا نبرأ إلى الله تعالى من ذلك وإننا بفضل الله تعالى نعرف ما يجب لله تعالى وما يجب لرسوله ﷺ ونعرف ما هو محض حق لله تعالى وما هو محض حق لرسوله ﷺ من غير غلو أو إطراء يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية والألوهية في المنع والعطاء والنفع والضر الاستقلالي

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠.

[دون الله تعالى] والسلطة الكاملة والهيمنة الشاملة والخلق والملك والتدبير والتفرد بالكمال والجلال، والتقديس والتفرد بالعبادة بمختلف أنواعها وأحوالها ومراتبها.

أما الغلو الذي يعني التغالي في محبته وطاعته والتعلق به، فهذا محبوب ومطلوب كما جاء في الحديث: «**لا تطروني كما أطرت النصارى** ابن مريم». والمعنى أن اطراءه والتغالي فيه والثناء عليه بما سوى ذلك هو محمود ولو كان معناه غير ذلك لكان المراد هو النهي عن اطرائه ومدحه أصلا ومعلوم أن هذا لا يقوله أجهل جاهل من المسلمين، فإن الله تعالى عظم النبي ﷺ في القرآن العظيم بأعلى أنواع التعظيم، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه، نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية، ورحم الله القائل حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات، وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين، قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]. وقال تعالى:

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[2].

---

(١) سورة الحج آية ٣٢.

(٢) سورة الحج آية ٣٠.

ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام فإنها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، وبالصلاة خلف المقام، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم، ونحن في ذلك كله لم نعبد إلا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا، فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى.

والحاصل أن هنا أمرين عظيمين لا بد من ملاحظتها أحدهما: وجوب تعظيم النبي ﷺ ورفع رتبته عن سائر الخلق، والثاني: إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه، فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الألوهية للأصنام واستحقاقها العبادة، ومن قصر بالرسول ﷺ عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر.

وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا، وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. وإذا وجد في كلام المؤمن إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل إلى تكفيرهم، إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[1].

فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده، وقوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[2]. فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي، لأن اليوم محل

---

(١) سورة الأنفال آية ٢.

(٢) سورة المزمل آية ١٧.

جعلهم شيبا، فالجعل المذكور واقع في اليوم، والجاعل حقيقة هو الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا • وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[1]. فإسناد الإضلال إلى الأصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الإضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده، وقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾[2]. فإسناد البناء إلى هامان مجاز عقلي لأنه سبب فهو آمر يأمر ولا يبني بنفسه والباني إنما هو الفعلة من العُمَّال وأما الأحاديث ففيها شيء كثير يعرفه من وقف عليها، وكان ممن يعرف الفرق بين الإسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة إلى الإطالة بنقلها، وقال العلماء: إن صدور ذلك الإسناد من موحد كاف في جعله إسنادا مجازيا لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض، بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك.

معنى الإيمان بالله

أما الإيمان بالله تعالى فهو على قسمين: «قسم» في سلب صفات النقص عن ذاته المقدسة. و«قسم» في إثبات صفات الكمال لها.

«القسم الأول» في تنزيه الباري تعالى عن الكيف والزمان والمكان ومشابهة ما تصور في البال، وعن الشبيه والشريك، والولد والوالد والصاحبة وعن العرض والجسم والجوهر، وعن كل نقص مطلقا.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في تنزيه الباري تعالى:

---

(١) سورة نوح آيات ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة غافر آية ٣٦.

كل من خطر بباله أن الله تعالى جسم مركب فهو عابد صنم، فإن كل جسم حادث مخلوق، وعبادة الحادث المخلوق كفر، وعبادة الصنم إنما كانت كفرا لكونه مخلوقا، وإنما كان مخلوقا لكونه جسما، ومن عبد جسما فهو كافر بالإجماع صغيرا كان ذلك الجسم كالذرة أو كبيرا كالفرس. جمادا كان كالحجارة أو حيوانا كالإنسان، لطيفا كان كالهواء والماء. أو كثيفا كالتراب، مشرقا كان كالشمس والنجوم أو مظلما كالأرض.

قال: وأما ما ورد في الكتاب والسنة من الألفاظ المشكلة الموهمة بظواهرها اتصاف الباري تعالى بما هو من سمات الحدوث والجسمية وتوابعها، كالاستواء والمجيء والنزول، واليد والقدم. والصورة ونحو ذلك فيجب عند سماعها أمور:

«أحدها» تنزيه الباري تعالى عن الجسمية وتوابعها.

«ثانيها» التصديق بها، وهو أن يعتقد قطعا أن هذه الألفاظ أريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته. وأن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسله صدق وحق على الوجه الذي قاله. والمعنى الذي أراده.

«ثالثها» الاعتراف بالعجز على كل من لم يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها. ولم يعرف تأويلها، مع اعتقاد أن ما خفي عليه من معاني هذه الظواهر وانطوى عنه من أسرارها ليس منطويا عن الرسول. ولا عن الصديق، وأكابر الصحابة والأولياء والعلماء الراسخين في العلم. وأنه إنما انطوى عنه لعجزه وقصور قوته. فلا ينبغي أن يقيس بنفسه غيره.

«رابعها» الإمساك عن التصرف في تلك الألفاظ بتفسير أو تصريف أو تفريغ فلا يبدل شيء من ذلك بلفظ آخر، ولا يترجم بلغة أخرى ولو أدت معناه بل يقتصر على ايراد اللفظ الوارد بصيغته كما ورد. ولأجل ذلك بالغ السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف كما

ورد على الوجه الذي ورد باللفظ الذي ورد.

والحق ما قالوه، إذ أحق المواضع بالاحتياط ما هو تصرف في ذات الله وصفاته. وأحق الأعضاء بإلجامه وتقييده اللسان عن الإطلاق فيما يعظم فيه الخطر، وأي خطر أعظم من الكفر.

« القسم الثاني » في إثبات صفات الكمال للباري تعالى كالحياة، والعلم والقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من صفات الكمال.

كيف وقد ثبتت له بتواتر النقل كما وصف نفسه بها، ووصفه بها رسله فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[١] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[٤]، ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٦].

ثم اعلم أن علم الباري سبحانه وتعالى متعلق بجميع الجائزات والواجبات والمستحيلات مما كان ومما سيكون، ومما لا يكون لو كان

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥.
(٢) سورة الفرقان آية ٥٨.
(٣) سورة البقرة آية ٢٩.
(٤) سورة غافر آية ١٩.
(٥) سورة الانعام آية ٥٩.
(٦) سورة النساء آية ١٦٤.

كيف يكون، كما في ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[1].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[2].

وسمعه وبصره متعلقان بجميع الموجودات قديمها وحديثها، سواء كانت من قبيل الأصوات والمرئيات أو غيرها. فلا يعزب عن سمعه وبصره شيء، وليس ذلك على ما يفهم من صفات المخلوقين، بل كما هو فاعل بلا جارحة فهو عالم بلا قلب، بصير بلا حدقة وأجفان، سميع بلا أصمخة وآذان، إذ كل ذلك من صفات خلقه التي أجراها فيهم بحسب العادة، ولو شاء أن يجعل العيون سامعة، والآذان مبصرة وغير ذلك لفعل، فهو على كل شيء قدير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وكذلك لا يدخل التعقيب والترتيب على صفاته سبحانه، فلا يقال: إنه علم شيئاً بعد أن لم يعلمه ولا انه نظر إلى شيء بعد أن لم ينظر إليه، ولا سمع شيئاً بعد أن لم يسمعه، إذ كل ذلك من لوازم صفات الخلق، وهو مباين لخلقه بصفاته كما باينهم بذاته.

وقدرته وإرادته تعالى تتعلقان بجميع الممكنات. ولكن القدرة تؤثر في إيجاد الشيء واعدامه. والإرادة تخصص الأشياء بأوقاتها وصفاتها المخصوصة بها. والقدرة فرع الإرادة. فإذا أراد الله شيئاً أوجده بقدرته. والإرادة فرع العلم إذ لا يريد الله تعالى إلا ما سبق به علمه القديم من إيجاد وإعدام.

---

(١) سورة الانعام آية ٢٨.

(٢) سورة سبأ آية ٣.

الإيمان بالملائكة

وأما الإيمان بالملائكة عليهم السلام فالمراد بذلك « الإيمان » بأنهم الوسائط بين الله وبين رسله إلى البشر في انزال كتبه، وتبليغ نهيه وأمره. فهم رسل الله إلى رسله، ومن لم يؤمن بهم كذلك فقد كفر بكتب الله ورسله.

فالإيمان بهم مقدم على الإيمان بالكتب والرسل، ولهذا جاء ذكرهم مقدمين عليها في القرآن والحديث.

ويجب الإيمان أيضا بأنهم عباد مكرمون، معصومون عن المعصية، مطبوعون على الطاعة، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[1]. ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2] ولا يحصي عددهم إلا الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[3] وثبت في صحيح مسلم في حديث الإسراء به صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه**».

روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا**».

---

(١) سورة الأنبياء اية ٢٠.

(٢) سورة التحريم آية ٦.

(٣) سورة المدثر آية ٣١.

قال الإمام الجليل الحضرمي[1]:

«اعلم - رحمك الله - أن الإيمان بالملائكة واجب كالإيمان بالرسل، فالجاحد للملائكة كافر لا يقبل الله إيمانه، لأنه مكذب بكتب الله ورسله. وعددهم لا يحصيه إلا الله تبارك وتعالى، فإن الملك والملكوت كله معمور بهم. فمنهم ملائكة موكلون بالأرض، ومنهم الموكلون بالجبال، كما جاء في الحديث الصحيح: «إن ملك الجبال ناداه وقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» ومنهم ملائكة موكلون بالنجوم ومنهم الذين يبلغونه صلى الله عليه وسلم صلاة من يصلي عليه، ومنهم سكان السموات السبع، وصفهم صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به. ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار، ومنهم حملة العرش ومنهم الموكلون بالسحب، ومنهم الموكلون بالمطر حتى روي أنه لا تنزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك، ومنهم الموكلون بالأرحام وخلق النطف ونفخ الروح في الأجساد. ومنهم الموكلون بخلق النبات وتصريف الرياح والأفلاك والنجوم، ومنهم الحفظة على الأعمال، ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم يحفظونهم من أمر الله أي بأمر الله.

وعلى الجملة فهم عمار الملك كله، حتى انه ليس في العالم شبر الا وهو معمور بهم ومشحون من أسفله إلى أعلاه، ولذلك أمر النبي ﷺ ألا نستقبل القبلة ولا نستدبرها ببول ولا غائط، إكراما للمصلين منهم إليها. والإيمان واجب بجميعهم واعلم أن الملائكة على اختلاف طبقاتهم روحانيون، ولسنا نعلم كيف هيئتهم التي خلقوا عليها، بل لا تدرك بأعين البصر الظاهر، ولكنهم قد جعل الله لهم قوة التمثل في صور مختلفة، كما أتى جبريل النبي ﷺ غالبا في صورة دحية الكلبي، ورآه

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن علي الحضرمي في كتابه المرتضى في مختصر شعب الإيمان للبيهقي.

مرة قد سد الأفق بجناحيه. وقال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1]. قال المحققون: وليس ما يتمثلون به من هذه الصور عين حقائقهم. فإن حقائق خلقتهم الأصلية أرواح لطيفة تصل إلى القلوب وتجري مجرى الدم، وتدخل في الثرى، وترى ولا تُرى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾[2] أي لأن حواسكم لا تدرك هيئة الملائكة إلا بالتشكل في الصورة المحسوسة. وقال الله تعالى في إبليس: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ أي قبيلته وهم الجن ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[3] أي انكم لا تدركون هيئاتهم، لأن الجن أيضا أرواح، إلا أن الملائكة من نور والجن من نار. والله اعلم.

الإيمان بالكتب

واما الإيمان بكتب الله تعالى فيجب الإيمان بها اجمالا وتفصيلا.

أما الإجمال فكما قال تعالى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾[4] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ - أي القرآن - ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ والظاهر انها صحف إبراهيم. وهؤلاء هم آل إبراهيم ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[5] أي التوراة والإنجيل وصحف موسى أيضا.

وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[6].

---

(١) سورة مريم آية ١٧.

(٢) سورة الانعام آية ٩.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٤) سورة الشورى آية ١٥.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٦.

(٦) سورة النساء آية ١٦٣.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى؟ قال: **«مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف. وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»**. قلت فكم الأنبياء؟ قال: **«ألف نبي وأربعة وعشرون نبيا، »**، قلت: وكم الرسل من ذلك؟ **«ثلاثمائة وثلاثة عشر»**، قلت: من كان أولهم؟ قال: **«آدم»**، قلت فما كانت صحف موسى؟ قال: **«كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل»**. رواه ابن حبان في صحيحه.

ويغني عن ذلك كله الإيمان بالقرآن العظيم تفصيلا بجميع سوره وآياته وكلماته وحروفه.

الإيمان بالرسل عليهم السلام

وأما الإيمان بالرسل فذلك واجب. لا يقبل الله إيمان عبد شهد له بالتوحيد حتى يؤمن بالرسل، ويشهد لهم بالرسالة. ومن لم يفعل ذلك، أو آمن ببعض دون بعض فهو كافر، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا • أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾[1]

فيجب الإيمان بهم اجمالا، بمن ذكرهم الله تعالى في القرآن بأعيانهم تعييناً كآدم وإدريس ونوح، وهود وصالح وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق

---

(١) سورة النساء آية ١٥٠ - ١٥١.

ويعقوب ويوسف ولوط وأيوب وشعيب، وموسى وهارون، ويونس، وداود وسليمان، وزكريا ويحيى، وعيسى والياس، واليسع وذي الكفل: ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين. قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[1] فمن كذب واحدا منهم فقد كذب جميعهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[2]. وقال:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ • كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ • كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ • كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾[3].

ولم تكذب كل أمة إلا رسولها فقط. لكن يلزم من تكذيب الواحد تكذيب الكل، لأنهم كلهم مصدقون بعضهم بعضا، ويغني عن ذلك كله التصديق بمحمد ﷺ في كل ما جاء به.

الإيمان باليوم الآخر

وأما الإيمان باليوم الآخر - فالمراد به يوم القيامة، وذلك بعث الأجساد والأرواح وحشرها إلى الموقف للحساب، والميزان والصراط والجنة والنار.

وأول منزل من منازل الآخرة القبر وما فيه من السؤال والفتنة والنعيم والعذاب ثم البعث بعد فناء الخلق كلهم، ثم الوزن، ثم الصراط، ثم الحوض ثم الدار: الجنة أو النار، ثم الرؤية للأبرار في دار القرار، والشفاعة بأنواعها، والإيمان بجميع ذلك واجب.

---

(١) سورة النساء آية ١٦٤.

(٢) سورة النساء آية ١٥١.

(٣) سورة الشعراء آيات ١٠٥ - ١٢٣ - ١٤١ - ١٧٦.

فتنة القبر

أما القبر فقد تواتر النقل عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من عذاب القبر وفتنته.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: نعم عذاب القبر حق، وما رأيت رسول الله ﷺ بعد يصلي صلاة إلا استعاذ من عذاب القبر» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي: إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، انه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا. وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» رواه البخاري ومسلم. وروى مسلم: «لولا أخاف ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر».

البعث

وأما البعث فقال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[1].

(١) سورة التغابن آية ٧.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[1].

رواه البخاري ومسلم. والغرل - بضم الغين وإسكان الراء - جمع أغرل، وهو الأقلف الذي لم يختن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا وانه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم» رواه البخاري ومسلم.

وزن الأعمال

وأما الوزن فقال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ • فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال: أما في ثلاثة مواضع فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أو شماله أو وراء ظهره. وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوزه» رواه أبو داود، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٤٧.

(٣) سورة المؤمنين آيات ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣.

الصراط على متن جهنم

وأما الصراط فقال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا • ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول. لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاما ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» رواه الإمام أحمد والبيهقي بإسناد حسن.

وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس ويرسل الامانة والرحم فيقومان على جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كشد الرجال - أي عدوهم - تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا - قال - وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوش[2] في النار» رواه مسلم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «يوضع الصراط على جسر جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلقة[3] عليه كلاليب من نار» الحديث رواه الطبراني بإسناد حسن.

وظاهر النصوص يدل على أن الورود يشمل الأنبياء والأولياء

---

(١) سورة مريم آية ٧١ - ٧٢.

(٢) مخدوش: ممزق أو مقشور بعود ونحوه. ومكدوش: مدفوع دفعا عنيفا.

(٣) مدحضة: مكان الدحض أي الزلق. والمدحضة المزلة. والمزلقة. مكان الزلق، والوصف للتأكيد.

والصالحين وعامة المؤمنين.

والذي نراه أن هذه العمومات مخصوصة بأحاديث دخول السابقين إلى الجنة بغير حساب وبقوله جل ذكره:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[1].

ولا شك أن الأنبياء هم أول السابقين وهم ممن سبقت لهم الحسنى. وكما جاء في الحديث الصحيح «أن الصائم لا يرى النار بل يباعد الله بينه وبينها مسيرة مائة عام».

الحوض

وأما الحوض فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[2]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا» رواه البخاري ومسلم.

الجنة والنار

وأما الجنة والنار فقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ • وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ • وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» رواه مسلم وغيره.

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠١.

(٢) سورة الكوثر آية ١.

(٣) سورة آل عمران آيات ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من جهنم» رواه البخاري ومسلم.

وعنه أيضا قال: كنا عند النبي ﷺ فسمعنا وجبة فقال صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفاً فالآن انتهى إلى قعرها» رواه مسلم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل» رواه البخاري ومسلم. ولفظه: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا».

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يابن آدم هل رأيت نعيما قط هل مر بك خير قط فيقول لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مرت بك شدة قط فيقول لا والله يا رب» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر على صورة رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون فيها ولا يتمخطون، آنيتهم فيها الذهب وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم

ولا تباغض. قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا » رواه البخاري ومسلم. والألوة - بفتح الهمزة وضمها وضم اللام وتشديد الواو المفتوحة - من أسماء العود الذي يتبخر به.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا وصدقوا المرسلين » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضا » رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. وإن شئتم فاقرءوا ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ • وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[1]. رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] رواه البخاري ومسلم.

(١) سورة الواقعة آية ٣٠ - ٣١.
(٢) سورة السجدة آية ١٧.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو طلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري ومسلم والنصيف: الخمار.

رؤية الله تعالى يوم الآخرة

وأما الرؤية فقال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1] قال أئمة التفسير: الحسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم. وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: إن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال نعم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا. قال: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك...» فذكر الحديث بطوله. رواه البخاري ومسلم.

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل، تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب. فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3] رواه مسلم.

---

(١) سورة يونس آية ٢٦.
(٢) سورة القيامة آيــة ٢٢ - ٢٣.
(٣) سورة يونس آية ٢٦.

الشفاعة يوم القيامة

وأما الشفاعة فهي أربعة أقسام:

(الأولى) في الاستراحة من هول الموقف وتعجيل فصل القضاء وذلك المقام المحمود الموعود به نبينا محمد ﷺ، قال الله تعالى:
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1].

(والثانية) في قوم استوجبوا النار فيشفع الله فيهم من أكرمه من عباده النبيين والصديقين والعلماء والشهداء والصالحين. فيدخلون الجنة برحمة الله.

(والثالثة) في إخراج قوم من الموحدين من النار، فيشفع الله فيهم من يشاء من عباده حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان.

(والرابعة) في زيادة الدرجات لأقوام قصرت أعمالهم عن اللحاق بأهلهم فيلحق الله بهم ذرياتهم وغيرهم. وكل ذلك قد وردت فيه النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا **كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم بعضا فيأتون آدم فيقولون اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فإنه حبيب الله فيأتوني فأقول أنا لها**.. الحديث رواه البخاري ومسلم مطولا.

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب له وأنا اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفع لأمتي حتى يناديني ربي تعالى فيقول قد رضيت يا محمد فأقول أي يا رب قد رضيت» رواه الطبراني وإسناده حسن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي مخافة أن يبعثني إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول يا رب أمتي فيقول عز وجل يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعوهم ربهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعثهم إلى النار حتى أن مالكا خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة» رواه الطبراني والبيهقي بإسناد غير متروك. والصكاك جمع صك وهو الكتاب.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليشفع في الرجلين والثلاثة» رواه الترمذي برواة الصحيح.

وعن أبي أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي مثل ربيعة ومضر» رواه الإمام أحمد بإسناد جيد.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع الله تعالى آدم عليه السلام يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف

وعشرة آلاف ألف » رواه الطبراني.

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **يقول إبراهيم يوم القيامة يا رباه فيقول الرب لبيكاه فيقول إبراهيم يا رب حرقت** ذريتي بالنار فيقول الرب تعالى أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة أو شعيرة من الإيمان » رواه ابن حبان في صحيحه.

الصلاة

وأما الصلاة فالمراد من العلم بها اعتقاد أن الله فرض على عباده خمس صلوات في كل يوم وليلة: هن الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح. قال الله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1] أي فرضا مؤقتا بالأوقات المخصوصة وقال تعالى:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ • وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[2] أي فسبحوا حين تمسون، والتسبيح ههنا الصلاة. والمساء يشمل المغرب والعشاء، وحين تصبحون: صلاة الصبح، وعشيا: العصر، وحين تظهرون: الظهر. وقال تعالى:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3]

أي أقم الصلاة من دلوك الشمس، وهو زوالها، إلى غسق الليل، وهو اشتداد ظلمته، أي أن هذا الوقت كله وقت إقامة الصلاة من غير فاصل، ويشمل ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم قال: « وقرآن الفجر » سمى صلاة الفجر قرآنا لاختصاصها بطول القراءة فيها، أي وصل صلاة الفجر.

---

(١) سورة النساء آية ١٠٣.

(٢) سورة الروم آية ١٧ - ١٨.

(٣) سورة الإسراء آية ٧٨.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» رواه البخاري ومسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «فرض الله على أمتي ليلة الإسراء خمسين صلاة، فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة» وقال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «أخبرهم ان الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة» رواهما البخاري ومسلم.

مكانة الصلاة في الدين

اعلم أن الصلاة عماد الدين، وأجل مباني الإسلام الخمس بعد الشهادتين ومحلها من الدين محل الرأس من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له، كذلك ورد في الأخبار، جعلنا الله وإياكم من المحافظين على الصلاة، المقيمين لها، الخاشعين فيها، الدائمين عليها - فبذلك أمر الله عباده المؤمنين في كتابه، وبه وصفهم فقال عز من قائل: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1] فالصلوات هي المكتوبات الخمس، الظهر، والعصر، والمغرب والعشاء، والصبح فتلك هي الصلوات التي لا يسع أحدا من المسلمين ترك شيء منها في حال من الأحوال ما دام يعقل، ولو بلغ به العجز والمرض إلى أقصى غاياته، والصلاة الوسطى: هي العصر كما ورد به الحديث الصحيح خصها الله بالذكر لزيادة الفضل والشرف، وذلك معروف ومشهور في الإسلام، حتى بلغنا في سبب نزول الرخصة في صلاة الخوف أن المسلمين كانوا مع رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، فصلى بهم

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨.

عليه السلام صلاة الظهر على الوجه المعهود، وكان المشركون قريبا منهم يرونهم فلما فرغوا من صلاتهم قال بعض المشركين: لو أغرتم عليهم وهم في صلاتهم لأصبتموهم فقال بقية المشركين: إن لهم بعد هذه الصلاة صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم - يعنون العصر - فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بصلاة الخوف. فانظر كيف صار فضل هذه الصلاة - أعني العصر - معلوما حتى للمشركين.

وقال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] فالإنابة هي الرجوع إلى الله، والتقوى هي الخشية من الله، والإقامة للصلاة هي الاتيان بها على الوجه الذي أمر الله به.

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ • الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾[4] فاستثناهم من نوع الإنسان المخلوق على الهلع والجزع عند مس الشر له، والمنع عند مس الخير له، كأنه سبحانه يقول: إن المصلين على الحقيقة ليسوا ممن يهلع ويجزع ويمنع «قلت» لأن هذه الأوصاف من المنكر، وقد قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[5].

فالمصلي المقيم للصلاة كما أمر الله ورسوله تنهاه صلاته عن فعل ما يكرهه الله منه مثل هذه الصفات المذكورة وغيرها من المكاره.

---

(١) سورة الروم آية ٣١.
(٢) سورة المؤمنون آيات ١ - ٢.
(٣) سورة المؤمنون آية ٩.
(٤) سورة المعارج آية ٢٢ - ٢٣.
(٥) سورة العنكبوت آية ٤٥.

وقال عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» فالمصلي على الإتباع والاقتداء برسول الله ﷺ في صلاته على الوجه الذي نقلته علماء الأمة من السلف والخلف رضي الله عنهم: هو المصلي المعدود عند الله من المقيمين للصلاة والمحافظين عليها.

للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة

ثم إن للصلاة صورة ظاهرة وحقيقة باطنة. لا كمال للصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتها جميعا، فأما صورتها الظاهرة فهي القيام، والقراءة والركوع، والسجود، ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة. وأما حقيقتها الباطنة: فمثل الخشوع، وحضور القلب وكمال الإخلاص، والتدبر والتفهم لمعاني القراءة، والتسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة.

فظاهر الصلاة: حفظ البدن والجوارح. وباطن الصلاة: حفظ القلب والسر وذلك محل نظر الحق من العبد - أعني قلبه وسره.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: مثل الذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة ويغفل عن حقيقتها الباطنة كمثل الذي يهدي لملك عظيم وصيفة ميتة لا روح فيها.

ومثل الذي يقصر في إقامة ظاهر الصلاة، كمثل الذي يهدي إلى الملك وصيفة مقطوعة الأطراف، مفقوءة العينين، فهو والذي قبله متعرضان من الملك بهديتها للعقاب والنكال، لاستهانتهما بالحرمة، واستخفافهما بحق الملك.

ثم قال: فانت تهدي صلاتك إلى ربك، فإياك أن تهديها بهذه الصفة فتستوجب العقوبة. انتهى بمعناه.

بعض أحوال السلف في الخشوع

وقد بلغ الخشوع في الصلاة برجال من السلف الصالح مبلغا عجيبا، فمن ذلك أن أحدهم كان يقع عليه الطير وهو قائم في الصلاة أو ساجد يحسب أنه حائط او جماد من شدة هدوئه وطول قيامه وسجوده. وسقطت في جامع البصرة اسطوانة انزعج لسقوطها أهل السوق، وكان بعضهم يصلي في المسجد فلم يشعر بها من شدة استغراقه في صلاته، وكان بعضهم يقول لأهله وأولاده: إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما بدا لكم - يعني من رفع الأصوات وكثرة اللغط - فإني لا أحس بكم. فكانوا ربما يضربون بالدف عنده فلا يشعر به.

واحترق بيت علي بن الحسين رضي الله عنهما بالنار وهو ساجد، فجعلوا يصيحون عليه: النار النار يا ابن رسول الله. فلم يرفع رأسه. فلما فرغ من صلاته قيل له في ذلك فقال: ألهتني عنها نار الآخرة.

وقيل لبعضهم: هل تجد في صلاتك ما نجده من وساوس الدنيا؟ فقال: لأن تختلف فيّ الأسنة أحب إليّ من ذلك. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء؟ فقال: وهل شيء أحب إلي من الصلاة حتى أحدث نفسي به فيها. وجاء السارق فسرق فرس الربيع بن خيثم وهو في الصلاة. فجعل الناس يدعون عليه فقال الربيع: لقد رأيته حين أطلقه. فقالوا: لو طلبته فأخذته منه؟ فقال: كانت صلاتي أحب إليّ من الفرس. وهو منه في حل، وصلى بعض أصحاب رسول الله ﷺ في حائط نخل له. فجعلت الطير تطير من شجرة إلى شجرة وجعل ينظر إليها فألهاه ذلك عن شيء من صلاته فلما عرف ذلك من نفسه شق عليه فجعل ذلك الحائط كله في سبيل الله لما ألهاه عن صلاته.

حكم تارك الصلاة

ثم اعلم أن من أنكر المنكرات وأكبر الكبائر وأفحش المحرمات ترك بعض المسلمين الصلوات المكتوبات. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه الذمة**» رواه ابن ماجه والبيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **من ترك الصلاة متعمدا لقي الله وهو عليه غضبان**» رواه الطبراني وإسناده حسن وفي رواية له عن أنس بن مالك: «**من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا**».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ذكر الصلاة يوما فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف لعنهم الله**» رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه.

وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**» رواه مسلم وغيره.

وروى الترمذي: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة» وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: «ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه» وعن إسحق أن ذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ.

وفي الترغيب والترهيب للمنذري عن ابن حزم أنه قد جاء عن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أن من ترك صلاة فرض متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد. ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة.

قال المنذري: وقد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج وقتها منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس ومعاذ وجابر وأبو الدرداء. ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل وإسحاق وابن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبة وغيرهم.

قال بعض السلف: تارك الصلاة ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. تارك الصلاة ينزل عليه كل يوم وليلة ألف لعنة، وألف سخط، والملائكة يلعنونه من فوق سبع سموات.

تارك الصلاة ما له نصيب في الحوض، ولا في الشفاعة. تارك الصلاة لا يعاد في مرضه، ولا يتبع في جنازته ولا يسلم عليه، ولا يؤاكل ولا يشارب، ولا يصاحب ولا يجالس، ولا دين له، ولا أمانة له، ولا حظ له في رحمة الله، وهو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

تارك الصلاة يضاعف له العذاب ضعفين، ويأتي يوم القيامة وقد غلت يداه إلى عنقه والملائكة يضربونه، وتفتح له جهنم، فيدخل في بابها كالسهم، فيهوي على رأسه عند قارون وهامان في الدرك الاسفل في النار.

تارك الصلاة إذا رفعت اللقمة إلى فيه قالت له: لعنك الله يا عدو الله تأكل رزق الله ولا تؤدي فرائضه.

قاطع الصلاة يتبرأ منه الثوب الذي على جسده ويقول له لولا أن سخرني ربي لك لفررت منك.

قاطع الصلاة إذا خرج من بيته قال البيت: لاصحبك الله في سفرك ولا خلفك في أثرك، ولا أعادك إلى أهلك سالما. قاطع الصلاة ملعون في حياته وبعد مماته. قاطع الصلاة يموت يهوديا ويبعث نصرانيا.

وأكثر هذه العقوبات في حق تارك الصلاة جحودا وعنادا.

الزكاة

الزكاة أحد مباني الإسلام الخمس، وقد جمع الله بينها وبين الصلاة في كتابه العزيز فقال عز من قائل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وقال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ● أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[2]. وقال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤد زكاة ماله» فأفهم عليه الصلاة والسلام أن من لم يؤد الزكاة فليس بمؤمن.

واعلم أن من صلى وصام وحج ولم يزك ماله لم يقبل الله له صلاة ولا صياما ولا حجا حتى يخرج الزكاة وذلك لأن هذه الأشياء مرتبط بعضها ببعض لا يقبل الله من عمل ببعضها حتى يعمل بها كلها، كما ورد ذلك في بعض الآثار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له. رواه الطبراني والأصبهاني وفي رواية للأصبهاني قال: «من أقام الصلاة ولم يزك فليس بمسلم ينفعه عمله».

---

(١) سورة البقرة آية ١١٠.

(٢) سورة الأنفال آيـة ٣ - ٤.

(٣) سورة التوبة آية ٧١.

فضل الزكاة

وللمزكي في إخراج الزكاة ثواب عظيم وأجر كريم، وله فيه منافع وفوائد دينية ودنيوية. وفي المال بلايا وفتن وآفات يسلم منها المحافظ على إخراج الزكاة إن شاء الله تعالى. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أديت زكاة مالك طيبة بها نفسك فقد أذهبت عنك شره**» وكذلك لا يعرض للمال المزكى شيء من المتالف والمهالك، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وما هلك مال في بحر ولا بر إلا بحبس الزكاة**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**حصنوا أموالكم بالزكاة. وداووا مرضاكم بالصدقة**» فالمال المزكى محصن ومحفوظ في حرز الله، لأنه طيب مبارك. والمال الذي ليس بمزكى ضائع، لأنه خبيث وغير مبارك.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما خالطت الزكاة مالا إلا محقته**» وأي خير وأي نفع في المال الممحوق الذي قد محقت بركته وبقي شره وفتنته.

«والمحق في الظاهر» هو ذهاب صورة المال ورجوع الإنسان بعد الاستغناء فقيرا هلوعا جزوعا، متبرما بقضاء الله. وقد وقع ذلك لخلق كثير من المتساهلين بأمر الزكاة. ومن المحق «محق باطن» وهو أن يكون المال في الصورة موجودا وكثيرا، ولكن لا ينتفع به صاحبه، لا في دينه بالإنفاق وبذل المعروف، ولا في نفسه ومروءته بالستر والصيانة، ومع ذلك يتضرر به تضررا كثيرا بإمساكه عن حقه ووضعه في غير وجهه إما بإنفاقه في المعاصي والعياذ بالله، وإما في الشهوات البهيمية التي لا نفع لها ولا حاصل لها.

منع الزكاة من أكبر الكبائر

أما منع الزكاة فهو من أكبر الكبائر. وقد وردت فيه عن الله ورسوله تشديدات هائلة، وتهديدات عظيمة. ويخشى على مانع الزكاة من

سوء الخاتمة والخروج من الدنيا على غير ملة الإسلام. وقد يعاقب قبل الموت كما وقع ذلك لقارون من بني إسرائيل حين منع الزكاة، قال الله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾[1].

وقد ورد أن المال الذي لا يزكى يتمثل لصاحبه في موقف القيامة حية عظيمة فطوق بها عنقه، قال الله تعالى:

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**» الحديث بطوله. وفيه **أن صاحب الماشية التي لا يخرج زكاتها تأتيه يوم القيامة أوفر ما كانت، فتطؤه بأخفافها واظلافها، وتعضه بأفواهها وتنطحه بقرونها**.

أسرار الزكاة

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في أسرار الزكاة: «اعلم أن إنفاق المال في الخيرات أحد أركان الدين، وأن سر التكليف به بعدما يرتبط به من سده الفاقات أن المال محبوب إلى الخلق، والمؤمن مأمور بحب الله تعالى ومدع للحب بنفس الإيمان فجعل بذل المال المحبوب عندهم معيارا لحبهم، وامتحانا لصدقهم في دعواهم فإن المحبوبات كلها تبذل لأجل المحبوب الأغلب حبه على القلب. فانقسمت القلوب فيه على ثلاث صفات: «الأولى» الأقوياء وهم الذين أنفقوا جميع ما ملكوه ولم يدخروا لأنفسهم شيئا، فهؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب، كما

---

(١) سورة القصص آية ٨١.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٠.

فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ جاء بماله كله فقال له رسول الله ﷺ: « **ماذا أبقيت لنفسك؟ قال الله ورسوله** ».

« الثانية » المتوسطون، وهم الذين لا يقدرون على إخلاء اليد بمرة، ولكن امسكوا للانفاق عند ظهور محتاج إليه، فإذا ظهر بادروا إلى سد خلته ولم يقتصروا على حد الواجب من الزكاة.

« الثالثة » الضعفاء، وهم المقتصرون على أداء الزكاة الواجبة، فهذه درجاتهم وبذل كل منهم المال على قدر حب الله تعالى. وما أراك تقدر على الدرجة الأولى ولا الثانية، فاجتهد ألا تجاوز الدرجة الثالثة، فإن مجرد الواجب حد البخلاء، فاجتهد أن لا يمضي عليك يوم إلا وتتصدق بشيء، فترتبع بذلك عن درجة البخلاء. وحافظ في زكاتك وصدقتك على خمسة أمور:

« الأول » الإسرار بها، ففي الخبر: « **صدقة السر تطفىء غضب الرب** » وبذلك تتخلص عن الرياء، فإنه غالب على النفس، وهو مهلك محبط للأجر.

« والثاني » أن تحذر من المن، وحقيقته أن ترى نفسك محسنا إلى الفقير متفضلا عليه. وعلامته أن تتوقع منه شكرا، أو تستكثر تقصيره في حقك. وعلاجه أن تعلم أنه المحسن إليك بقبول حق الله منك، وتطهيرك من رذيلة البخل فإن الزكاة كغسالة أوساخ الناس، ولهذا ترفع عنها رسول الله ﷺ وأهل بيته.

« الثالث » أن تخرجها من أجود مالك وأطيبه، قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[3] وقال

(١)سورة آل عمران آية ٩٢. (٢)سورة البقرة آية ٢٦٧. (٣)سورة النحل آية ٦٢.

رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**».

«الرابع» أن تعطي بوجه طلق، فدرهم مع طيب نفس يسبق مائة درهم مع الكراهة.

«الخامس» أن تتحرى لصدقتك محلا تزكو به، وهو العالم التقي الذي يستعين بها على طاعة الله وتقواه، والصالح المعيل وذو الرحم، فإن لم تجتمع هذه الأوصاف فبأحدها تزكو الصدقة أيضا. ورعاية التقوى هي الأصل، قال ﷺ: «**لا يأكل طعامك إلا تقي ولا تأكل إلا طعام تقي**» انتهى.

وقد عرفت أنه جعل الاقتصار على أداء الزكاة الواجبة حد البخلاء، ويلزم منه أن منع الواجب حد الأشقياء، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[1] وإن ظاهره أن من لم يقم الصلاة ويؤت الزكاة فليس من إخوان المسلمين في الدين. وفي ذلك غاية الزجر لمن أراد الله به خيرا ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[2]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[3]. الآية.

---

(١) سورة التوبة آية ١١.

(٢) سورة المائدة. آية ٤١.

(٣) سورة التوبة آية ٣٥.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به في عنقه** - ثم قرأ علينا النبي ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[1] الآية. رواه ابن حبان والنسائي بإسناد صحيح، وابن خزيمة في صحيحه. والشجاع: الحية. والأقرع: الذي ذهب شعر رأسه من السم.

صيام رمضان

وأما صيام رمضان: فهو أحد قواعد الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ • أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ** - إلى قوله - **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾[2] الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن اعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**» قال: والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد على هذه ولا أنقص، فلما ولى قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**» رواه البخاري ومسلم.

وقد جاء في فضل الصوم أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ: فمنها قوله صلى الله عليه وسلم: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه البخاري ومسلم.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٠.

(٢) سورة البقرة آيات ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**» رواه البخاري ومسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث فإن شاتمه أحد فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطرفرح بفطره، وإذالقي ربه فرح بصومه**» رواه البخاري ومسلم. وفي رواية لمسلم: «**كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يترك شهوته وطعامه من أجلي**».

وحذر صلى الله عليه وسلم من الإفطار في رمضان بقوله صلى الله عليه وسلم: «**من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صوم الدهر كله وإن صامه**» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه.

أسرار الصوم

قال الإمام الغزالي في أسرار الصوم:

اعلم أن لكل شيء بابا، وباب العبادة الصوم لأنه قهر لعدو الله، ففي الخبر: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع».

ثم الصوم بالنسبة إلى مقداره ثلاث درجات. وبالنسبة إلى أسراره على ثلاث درجات أيضا.

أما درجات مقداره فأقلها الاقتصار على صوم رمضان، وأعلاه صوم داود عليه السلام: وهو أن يصوم يوما ويفطر يوما، فذلك أفضل

من صوم الدهر.

وسره أن من صام الدهر كان الصيام له عادة فلا يحس بوقعه في نفسه بالإنكسار، وفي قلبه بالصفاء، وفي شهوته بالضعف، فإن النفس إنما تتأثر بما يرد عليها إلا بما مرنت عليه، ولا يستبعد هذا، فإن الأطباء ينهون عن اعتياد شرب الدواء لغير حاجة، وقالوا: من تعود ذلك لم ينتفع به إذا مرض، إذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به.

وأما الدرجة الوسطى فهي أن تصوم ثلث الدهر، ومهما صمت الاثنين والخميس كان ذلك مع رمضان ثلث السنة، فلا ينبغي أن ينقص صوم الناسك عن هذا، فإنه خفيف على النفس وثوابه جزيل.

وأما درجات أسراره فثلاث، أدناها أن يقتصر على الكف عن المفطرات من غير أن يكف جوارحه عن المناهي، وذلك صوم العوام لقناعتهم بالإسم.

الثالثة: أن يضيف إليه كف الجوارح، فيحفظ لسانه عن الغيبة وغيرها، والعين عن النظر، وكذا سائر الأعضاء، وذلك صوم الخواص.

الثالثه: أن يضيف إليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس، ويجعله مقصورا على ذكر الله، وذلك صوم خواص الخواص، وهو الكمال.

ثم للصوم خاتمة بها يكمل - وهي أن يفطر على طعام حلال، ولا يستكثر من الأكل بحيث يتدارك ما فاته من الغداء، فيكون قد جمع بين أكلتين في دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته، ويبطل سر الصوم، ويفضي إلى التكاسل عن التهجد وربما منع اليقظة قبل الصبح، وذلك خسران لا تفي به فائدة الصوم.

خصائص الصائمين وشرفهم

اختص الله الصائمين بباب في الجنة يدخلون منه يوم القيامة.

وإظهاراً لشرفهم وفضلهم ينادي مناد على رؤوس الاشهاد: أين الصائمون فيراهم القاصي والداني وتمتد إليهم الأبصار وتشرئب الأعناق، ويتمنى متمن ان لو كان معهم وفي ركبهم الميمون، ويتحسر متحسر على ما فاته في الدنيا من فرصة العمل والجد وما ضاع عليه من أوقات ثمينة وساعات عديدة يصور صلى الله عليه وسلم هذا المشهد فيقول: «**إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيقومون فيدخلون فإذا دخلوا أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد**». أخرجه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد.

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضا بأن جعل صومهم لهم حصنا حصينا من النار وسترا يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات يقول صلى الله عليه وسلم: «**الصيام جنة حصينة من النار**».

رواه أحمد والبيهقي في الشعب.

ثم يبين لنا صلى الله عليه وسلم حقيقة هذا الصوم الذي يحفظ صاحبه من النار فيقول: «**الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال ما لم يخرقها بكذب أو غيبة**» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

وكأنه يقول ان المدار بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا ولذلك حث الصائم أن يلتزم مسلك الفضيلة ويبتعد عن دواعي الرذيلة حتى يتحقق بالصيام الذي هو جنة فيقول: «**الصيام جنة من النار فمن أصبح صائما فلا يجهل يومئذ وان امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه وليقل إني صائم**» رواه النسائي.

واختص الله الصائم أيضا بأن جعل تغير فمه أطيب من ريح المسك فقال: «**ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**». والخلوف تغير الفم من الصوم.

واختص الله الصائم بأن جعل له في صيامه فرحتين فإذا أفطر فرح وإذا لقي الله فرح ففرحه بفطره تعبير صادق عن شكره التام لربه الذي وفقه لإتمام صوم ذلك اليوم ومكنه بواسطة تمام صحته وقوته فأدى عبادة يومه كاملة غير ناقصة فهو في فرحه هذا في عبادة لأن الشكر عبادة وذكر.

وفرحه بلقاء الله اطمئنان بوعد الله ويقين جازم بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثواب عليه.

يقول صلى الله عليه وسلم عن ذلك: «**وإن للصائم فرحتين. إذا أفطر فرح وإذا لقي الله فرح**». رواه مسلم في الصحيح.

واختص الله الصائم بأن جعل له في صومه الصحة والشفاء من كثير من الأمراض ففي الحديث: «**صوموا تصحوا**». رواه ابن السني وأبو نعيم.

وأخرج البيهقي عن علي كرم الله وجهه قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله أوحى إلى نبي من بني إسرائيل أن أخبر قومك أنه ليس عبد يصوم يوما ابتغاء وجهي إلا أصححت له جسمه وأعظمت له أجره**».

سر ذلك أن للصوم تأثيرا عجيبا في حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحمايتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة وذلك من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

واختص الله الصائم بإبعاد وجهه عن النار فلا ترى عينه أي مشهد من مشاهد النار. يقول صلى الله عليه وسلم: « **من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه من النار سبعين خريفا** » أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي سعيد الخدري وعند ابن ماجه عن أبي هريرة وفي رواية النسائي عن عقبة بن عامر « **باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام** ».

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائمين ما ورد في القرآن من فضائلهم التي قال كثير من العلماء في كثير منها أن المراد بها الصائمون ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾[1] فسر بالصائمين لأنهم ساحوا إلى الله عز وجل أي وصلوا اليه بسبب خروجهم عن مألوفاتهم ومقاساتهم عناء الجوع والعطش.

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]. قيل الصابرون هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم فحينئذ يفرغ للصائم من خزائن الفضل والجود والكرم ما لا يحصيه الحساب ولا يقدره إلا رب الأرباب.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3]. قيل عملهم الذي جوزوا عليه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هو الصوم.

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حاله كله عبادة وطاعة فهو ان صمت عن فضول الكلام في طاعة وإن نام ليتقوى على القيام في طاعة

(١) سورة التوبة آية ١١٢.

(٢) سورة الزمر آية ١٠.

(٣) سورة السجدة آية ١٧.

ايضا روي عنه صلى الله عليه وسلم: «**صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف**» رواه الديلمي عن ابن عمر.

وفي فطوره له فرحة الشكر. وهي عبادة وله في ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت في الحديث «**للصائم عند افطاره دعوة مستجابة**» اخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسي والبيهقي.

ولا يخلو أن يدخل في ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار في تلك الساعة كما ثبت في الحديث: «**إن لله تعالى عند كل فطر عتقاء من النار وذلك في كل ليلة**». رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي. وسحوره بركة كما ثبت. ذلك في الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة.

واختص الله الصائم بأن جعل لمن فطره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه. وفي سبيل اكرام من أكرم الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لقمة خبز أو شربة ماء.

فقال صلى الله عليه وسلم: «**من فطر صائما في رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالي رمضان كلها وصافحه جبريل ليلة القدر ومن صافحه جبريل تكثر دموعه ويرق قلبه فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن ذاك عنده؟ قال فلقمة خبز قال أرأيت من لم يكن ذاك عنده؟ قال فقبضة من طعام قال أفرأيت من لم يكن ذاك عنده؟ قال فمذقة من لبن قال أفرأيت من لم يكن ذاك عنده؟ قال فشربة من ماء**». أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في الضعفاء.

واختص الله الصائم بأنه إذا أكل عنده جماعة مفطرون وهو يشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلا حرمة الصيام فإنه تصلي عليه الملائكة. أخرج أحمد والترمذي: «**إن الصائم إذا أوكل عنده لم تزل**

تصلي عليه الملائكة حتى يفرغ من طعامه».

وفضائل الصوم مطلقا كثيرة فمنها أن الله تعالى أضاف ثوابه إليه دون سائر العبادات فقال: «الصوم لي وأنا أجزي به» وهو حديث صحيح ثابت.

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف اعلاما بأن ثوابه وصل غاية تقصر العقول عن إدراكها وأيضا لأنه لم يتقرب إلى غير الله بالصوم لذاته. وصوم أصحاب الهياكل والاستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها. فصومهم في الحقيقة لربها وأيضا لأن الصوم إشارة إلى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات وأيضا لأنْ الاستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى والصوم فيه نوع يوافقها فلذلك أضافه تعالى إليه. ومن ثم قال القرطبي معناه أن اعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصوم فإنه مناسب لصفة من صفات الحق فكأنه تعالى يقول إن الصائم يتقرب إليّ بأمر هو من صفاتي.

وأيضا فإن الصوم فيه ترك جميع حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله تعالى ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى ألا ترى أن الإحرام بالحج أو العمرة وان حرم كثيرا من المباحات لكنه لا يحرم الأكل والشرب.

الحج أحد أركان الإسلام

الحج أحد قواعد الإسلام الخمسة المعلومة من الدين بالضرورة، والمجمع على فرضيتها.

وقد اختلف في تعيين سنة فرضيته، فقال جماعة: فرض سنة خمس من الهجرة وبهذا قال كثير من أهل العلم، لأنه نزل فيها قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[1]. بناء على أن المراد: واتوا بالحج تاما. وقالت طائفة من أهل العلم: انه فرض في السنة التاسعة من الهجرة.

والحج شرعا عبادة يلزمها طواف وسعي ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص، وهو فرض في العمر مرة، وواجب على المسلمين وجوبا كفائيا كل عام لإقامة موسم الدين، فلذا ينبغي لمن أراد الحج بعد أداء الفريضة أن ينوي إقامة الموسم لينال ثواب فرض الكفاية، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ • فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[2] بين الله تعالى اولا أي في هذه الآية المذكورة شرف البيت الحرام.

ثم دعا كافة الناس إلى الحج «أحد أركان الإسلام» بالآيات والأحاديث والإجماع ثم أكد ذلك في نهاية هذه الآية بتسمية من تركه كافرا ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقد جاء في فضل الحج عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة فمنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة

(١) سورة البقرة آية ١٩٦.
(٢) سورة آل عمران آية ٩٦ - ٩٧.

كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » رواه البخاري ومسلم وعنه أيضا قال: سئل رسول الله ﷺ: أي عمل أفضل؟ قال: « إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور » رواه البخاري ومسلم. والمبرور الذي لا إثم فيه.

وعنه أيضا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه البخاري ومسلم الرفث: الجماع ومقدماته.

أما الاستطاعة يعني في قوله تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾ فهي في الأصل طواعية الفعل وتأتّيه، والمراد بها الإرادة المقتضية للقدرة، والقدرة إما بالبدن أو بالمال أو بهما، وإلى الأول ذهب الإمام مالك، فيجب الحج عنده على من قدر على المشي والكسب في الطريق وإلى الثاني ذهب الإمام الشافعي، ولذا أوجب الاستنابة على الزمِن إذا وجد أجرة من ينوب عنه، وإلى الثالث ذهب الإمام أبو حنيفة.

روى الإمام الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من ملك زادا وراحلة تحمله إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا »، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ وليس المراد بملك الراحلة خصوص شرائها، بل هو أعم من ذلك، كالقدرة على استئجارها أو استئجار ما يوصله إلى الحج من نحو طائرة أو سيارة أو باخرة.

وقال الإمام أبو عبدالله القرطبي « في الجامع لأحكام القرآن » وذكروا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: لقد هممت أن أبعث رجالا إلى الأمصار فينظروا إلى من كان له مال ولم يحج فيضربوا عليه الجزية، فذلك قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إن من ترك الحج وهو

قادر عليه فهو كافر.

وهذا كله خرج مخرج التغليظ والزجر لتارك النسك الواجب وتخويفه، فيحمله على القيام بأدائه، أو هو محمول على من أنكر أصل مشروعية الحج، أو على من استحل تركه مع استطاعته، ولهذا قال علماء المالكية ومن يرى رأيهم: تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجه عليه، ولا يجوز أن يحج عنه غيره، لأن حج الغير لو اسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: لو مات جار لي وله ميسرة ولم يحج لم أصل عليه.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة، والآثار الجمة العديدة في وعيد من تأخر عن فريضة الحج وهو مستطيع الاداء ولم يحج مرة في عمره.

فإن كنت أيها المكلف من ذوي الغنى واليسار، وأنت ممن يسطع في قلبه نور الإيمان وتشتعل بين جوانحه نار الشوق حنينا إلى الربوع المقدسة وبلاد الله وبيته الحرام، وتحب أن تشاهد البطاح الحرمية والمشاهد المباركة المكية والمدنية التي تشرفت بالأنوار الساطعة المحمدية، فما عليك إلا أن تعزم وتبادر للقيام بأداء هذه الفريضة الدينية، وتبدي من عزائمك القوية ونشاطك الباهر ما يبرهن أنك من عباد الله الصادقين الذين استجابوا لله ورسوله وأخلصوا، وإياك ثم إياك من التعلل والتسويف، وإبداء الأعذار الباردة، فإن للتأخر آفات وآفات.

إذا هبت رياحك فاغتنمها
فعقبى كل عاصفة سكون

أمدنا الله وإياك بتوفيقه.

هذا، وقد امتلأت الدنيا بالمخترعات الحديثة للراحة والنقل والأركاب وكثرت في أنحاء البلاد المقدسة السيارات، وأضحت الدنيا

مرتبطا بعضها ببعض بفضل الله تعالى ومتصلة ببلد الله الحرام وبلد نبيه عليه الصلاة والسلام، ومهد الطريق وقرب البعيد، وانطوت المسافات، وأصبح الحج أياما معدودات. أما الطأنينة والأمن على النفس والمال في هذه البلاد، فكل ذلك حدث عنه ولا حرج، فقد صار الأمن في كل الأيام وخصوصا في أيام الموسم وازدحام البلاد بحجاج بيت الله الحرام مضرب الأمثال ولله الحمد والشكر على ما أنعم وتفضل أوزعنا الله لشكر نعمه، فأقبل وبادر وشمر وسافر، واخز الشيطان الخاسر بإقامة الشعائر في هذه المشاعر، ولا تنسنا من دعائك في خلواتك وجلواتك وصادق توجهاتك.

(من أسرار الحج)

«اعلم أن أسراره الباطنة كثيرة، ونحن نشير إلى أمرين منها:

«أحدهما» أن تعلم أنه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل الأخرى كما ورد به الخبر، فجعل الله الحج رهبانية هذه الأمة، وشرف البيت العتيق وأضافه إلى نفسه، ونصبه مقصدا لعباده، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره، وجعل عرفة كالميزاب على فناء حوضه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره، ووضعه على مثال حضرة الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق، شعثا غبرا متواضعين لرب العالمين، خضوعا لجلاله مع الاعتراف بتنزيهه سبحانه عن أن يحويه مكان، ليكون ذلك أبلغ في عبوديتهم، ولذلك وظف عليهم أعمالا غريبة لا يأنس بها الطبع ولا يهتدي إليها العقل ليكون إقدامهم عليها بمحض العبودية، ومجرد امتثال الأمر من غير مقارنة باعث آخر لو عقل معناه. ولهذا سر عظيم في العبودية.

«الأمر الثاني» أن تعلم أن هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة، فليتذكر المريد بكل عمل من أعماله امرا من أمور الآخرة، موازنا له،

فإن فيه تذكرة للمتذكرين، وعبرة للمعتبرين، فتذكر من أول سفرك عند وداعك أهلك وداع الأهل في سكرات الموت، ومن مفارقة وطنك الخروج عن الدنيا، ومن ركوب الراحلة النعش، ومن لبس ثياب الإحرام الالتفاف في الأكفان، ومن دخولك البادية إلى الميقات ما بين خروجك من الدنيا إلى ميقات القيامة، ومن هول قطاع الطريق سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادي حيات القبر وعقاربه، ومن انفرادك عن أهلك وحشة القبر ووحدتك فيه، ومن التلبية إجابة الداعي عند البعث، وكذلك سائر الأعمال، فإن في كل عمل سرا ينبه به كل عبد على قدر استعداده وصفاء قلبه، وقصور همه على مهمات الدين.

فضائل الحاج وشرفه

ومن الشرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأمة، تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التي يختص بها الحاج من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل.

الأول: ان الحاج حجه يهدم ما قبله، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال: «**لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت ابسط يدك فلأبايعك قال: فبسط فقبضت يدي فقال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أشترط قال تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لي قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وان الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله**». رواه مسلم.

الثاني: أن الحاج مجاهد، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**جهاد الكبير والصغير والمرأة الحج والعمرة**» أخرجه النسائي. وعن عثمان بن سليمان عن جدته أم أبيه قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الجهاد في سبيل الله فقال: «**ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه؟ فقال: بلى. فقال: حج البيت**». خرجه

سعيد بن منصور. وعن عمر أنه قال: إذا وضعتم السروج فشدوا الرحال للحج والعمرة فإنها أحد الجهادين. خرجه أبو ذر الهروي.

الثالث: ان الحاج من وفد الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر**». خرجه النسائي وخرجه ابن حبان في التقاسيم والأنواع بتقديم بعض اللفظ وزاد في بعض طرقه (**دعاهم فأجابوا**) رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد (**فسألوه فأعطاهم**) وذكره ابن الحاج في منسكه. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله ان سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وان أنفقوا أخلف عليهم والذي نفس أبي القاسم بيده: ما أهل مهل ولا كبر مكبر على شرف من الأشراف إلا هلل ما بين يديه وكبر بتكبيره حتى ينقطع مبلغ التراب**» خرجه تمام الرازي في فوائده. وخرجه ابن الجوزي في كتاب مثير الغرام الساكن من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده وقال في آخره: حتى يبلغ منقطع.

الرابع: أن الحاج مجاب الدعوة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس دعوات لا ترد: دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينصر ودعوة المريض حتى يبرأ ودعوة الأخ لأخيه بالغيب، أسرع هؤلاء إجابة دعوة الأخ لأخيه بالغيب**» حديث صحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك كان من السنة أن يطلب من الحاج الدعاء وهذه السنة المطلوبة فعلها صلى الله عليه وسلم مع عمر فإنه لما استأذن في العمرة فأذن له، قال له: «**لا تنسنا من دعائك أو أشركنا في دعائك**». رواه أبو ذر الهروي.

الخامس: أن الحاج نفقته في سبيل الله، عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمائة**

ضعف» خرجه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما.

السادس: أن الحاج درهمه بأربعين ألف ألف، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيا سواه**». ذكره الطبري في القرى.

السابع: أن الحاج نفقته مخلوفة، ثبت في الحديث: «**الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف عليهم**» خرجه تمام الرازي.

وفي رواية: (**إن الله تعالى يقول للملائكته: واخلفوا لهم ما أنفقوا**).

الثامن: إن الحاج معان: عن أبي امامة وواثلة بن الأسقع قالا قال رسول الله ﷺ: «**اربعة حق على الله عز وجل عونهم الغازي والمتزوج والمكاتب والحاج**».

التاسع: أن الحاج شافع، عن أبي موسى الأشعري قال: (**الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته**) خرجه عبد الرزاق في مسنده وفي رواية المنذري: (**من جاء حاجا يريد وجه الله غفر له وشفع فيمن دعا له**).

العاشر: ان الحاج مغفور له، عن جابر مرفوعا: (**ما من محرم يضحي لله يلبي حتى تغيب الشمس إلا غابت بذنوبه فعاد كما ولدته أمه**) رواه ابن ماجه.

وفي الحديث عن جابر: (**إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا، اشهدوا أني غفرت لهم ذنوبهم فتقول الملائكة: يا رب فلان يرهق-يعني يأتي المحارم-فقال يقول الله عز وجل: فقد غفرت لهم**) أخرجه في شرح السنة «**البغوي**».

وهذه المغفرة عامة حتى للتبعات، فقد روى العباس بن مرداس: أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب: إني غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه قال: أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الخير وغفرت للظالم فلم يجب فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل قال: فضحك رسول الله ﷺ أو قال: تبسم فقال له أبو بكر وعمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك؟ أضحك الله سنك. قال: «**إن عدو الله ابليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه**». رواه ابن ماجه.

الحادي عشر: ان الحاج يغفر له ولمن يستغفر له، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج**» رواه البيهقي. وصححه الحاكم.

وعن مجاهد قال: قال عمر رضي الله عنه: يغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الأول. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. وذكر هذا الخضروي في العقد الثمين ولذلك كان ابن عمر يقول: إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته - رواه أحمد في مسنده فكانوا يحبون أن يدخلوا في هذه الخصوصية.

الثاني عشر: أن الحاج يباهي الله به الملائكة، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: (**إن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء**) رواه ابن حبان وأحمد.

الثالث عشر: أن الحاج من أهل الجنة (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وبر الحج إطعام الطعام وإفشاء السلام) رواه أحمد والمعنى

انه لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب بل لا بد أن يبلغ به الجنة.

ولا غرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الحاج في أن يحرص المسلم كل الحرص وتشتد رغبته ويعظم طلبه ويجتهد في حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضوا فرضهم، وأكثروا من التطوع بهذا النسك الشريف قال بعضهم: رأيت في الطواف كهلا وقد اجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فقال لي: في كم تقطعون هذا الطريق؟ قلت: في شهرين فقال: فهل تحجون كل عام؟ فسكت فسألته: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: مسيرة خمس سنين، فقلت: والله هذا هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وأنشأ يقول:

زر من هويت وان شطت بك الدار
وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زوار

وعن شقيق البلخي رحمه الله قال: رأيت في طريق مكة مقعدا يزحف على الأرض فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند، قلت: وكم لك في الطريق فذكر أعواما تزيد على العشرة فرفعت طرفي انظر إليه متعجبا فقال: يا شقيق مالك تنظر إليّ متعجبا؟ فقلت: أتعجب من ضعف مهجتك وبعد سفرك فقال: يا شقيق: أما بعد سفري فالشوق يقويه وأما ضعف مهجتي فمولاها يحملها، يا شقيق أتعجب من عبد يحمله المولى اللطيف وأنشأ يقول:

أزوركم والهوى صعب مسالكه
والشوق يحمل والآمال تسعده
ليس المحب الذي يخشى مهالكه
كلا ولا شدة الأسفار تبعده

مسئولية الإيمان

قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره، فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**» رواه الترمذي قال: حديث حسن صحيح، والعمر يعم زمن الشباب وغيره، وخص الشباب في النظم لأنه وقت قوة العمر، فهو أولى بالاجتهاد في الطاعة، والمراد الحث على انفاق العمر في طاعة الله تعالى، والصبر على ذلك إلى الممات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[2] وقال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ • فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل: «**إذا تقرب العبد اليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إليّ ذراعا**

---

(١) سورة الحجر آيات ٩٨ - ٩٩.
(٢) سورة المزمل آية ٢٠.
(٣) سورة الزلزلة آيات ٦ - ٧ - ٨.

تقربت إليه باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل - فإن «لو» تفتح باب عمل الشيطان ». رواه مسلم.

وعن عبد الله بن بسر - بالسين المهملة - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

السؤال عن المال:

وأما المال - فالمطلوب ان يكتسبه من حله وينفقه في الخيرات، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۚ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[3] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له». رواه مسلم.

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٠.

(٢) سورة المؤمنين آية ٥١.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٢.

وعنه ايضا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان اصره عليه**» رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي **نفسي بيده لا يكتسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلفه إلا كان زاده إلى النار. إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**» رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

وعن جابر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت**» رواه ابن حبان في صحيحه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقوله**» رواه الإمام أحمد.

وعن علي رضي الله عنه: «من جعل الحلال قوتا أجيبت دعوته، وكملت مروءته وحسنت سريرته، ورقت دمعته، وعلت كلمته، وحصلت أمنيته، وطابت منيته، وطهرت ذريته وتنورت نطفته، وظهرت حكمته، وقل غضبه، ورق قلبه، وخف ذنبه، ورد درهم حرام أفضل عند الله من أربعة آلاف حجة مقبولة انتهى.

درجات الورع

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «اعلم أن طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره، واستعداده لقبول انوار المعرفة. وفيه سر عظيم لا يحتمل الكتاب ذكره، ولكن ينبغي أن تفهم أن درجات الورع أربع:

«الأول»: التورع عما يتحقق الفسق باقتحامه، وتزول العدالة بارتكابه وهو الذي تحرمه فتوى الفقهاء.

«الثانية»: ورع الصالحين، وهو الحذر عما يتطرق إليه احتمال التحريم وإن افتى المفتي بحله بناء على الظاهر، وهو ما قال فيه صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

«الثالثة»: ورع المتقين، قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس**».

«الرابعة»: ورع الصديقين، وهو الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى، أو كان قد تطرق إلى بعض أسبابه معصية، فما كان بشر الحافي يشرب الماء من الأنهار التي حفرها السلاطين.

وهذه رتبة قوم عدوا كل ما لم يكن لله حراما، فاجتهد أن تفي بالدرجة الأولى وهي ورع العدول، والذي يفتي به الفقهاء لكن بشرطين:

«احدهما»: ان تحذر مواقع الغرور فيما افتوا به بحسب الظاهر، كقولهم فيمن يسيء معاشرة زوجته حتى تبرئه من المهر: إن الإبراء صحيح، لأن مطمح الفقيه إلى ظاهر الأمر، وأما من أراد ما يبريء ذمته غدا عند من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فلم يلتفت إلى هذا، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[1] وهذه ليست بطيبة نفس، وإنما تخلصت من شره، فلا يحل له المهر بينه وبين الله تعالى. وهذا باب طويل. وأصله ألاّ تستحل مال غيرك إلا برضا مطلق صادق، وكذلك ينبغي ألا تأكل بالسؤال فإن سألت فاحذر أن يكون على الملأ فربما يعطيك على الحياء ولا فرق بين

---

(١) سورة النساء آية. ٤

أن تأخذ مال إنسان بضرب ظاهره أو مع تألم باطنه، وكل ذلك حرام عند ذوي البصائر وإن أفتى المفتي بحله ظاهرا.

«الثاني»: ان تراجع قلبك فإن الإثم حزاز القلب، والذي يضرك ما حاك في صدرك ولذلك قال النبي ﷺ: «**استفت قلبك وإن افتاك الناس وأفتوك**» وهذا الفن يطول ذكره ولكن اعلم على الجملة أن المحذور من الحرام هو إظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره وذلك إنما يتشعب من اعتقادك لا من نفس الشيء المعتقد فمن وطيء امرأة على ظن أنها اجنبية فإذا هي منكوحة اظلم قلبه، بخلاف العكس فالاستشعار هو المؤثر في تنوير القلب واظلامه وإن لم يكن على وفق الحال. فأنت في الحال متعبد بما يطمئن إليه قلبك لا بما يفتي به المفتي. فاستفت قلبك.

وإياك أن تشدد على نفسك فتقول: أموال الدنيا كلها حرام لكثرة الأيدي الغاصبة والمعاملات الفاسدة بل اعلم قطعا أن الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن وبينهما مشتبهات. كذلك كان في عصر رسول الله ﷺ، وكذلك يكون أبد الدهر فاستمد مما ذكرناه أنك غير متعبد بما هو حلال في نفس الأمر بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سببا ظاهرا في تحريمه.

وهذا الباب يستدعي شرحا طويلا، فإن رغبت فيه فطالع «كتاب الحلال والحرام» من الإحياء لتستفيد عند مطالعته إن شاء الله تعالى، فإنه لم يصنف في فنه مثله في التحقيق والتحصيل، والإحاطة بجميع التفاصيل.

السؤال عن العلم

وأما السؤال عن علمه ماذا عمل فيه فقد ورد الوعيد الشديد فيمن لا يعمل بعلمه، وخالف قوله فعله، قال الله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع أهل النار عليه فيقولون ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**».

قال أسامة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه**» رواه الطبراني.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**» رواه مسلم.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٤.

(٢) سورة المائدة آية ٦٨.

(٣) سورة الصف آية ٢.

(شرف العلم والعبادة)

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: «اعلم أن العلم والعبادة جوهران لأجلهما كان كل ما نرى ونسمع، من تصنيف المصنفين، وتعليم المعلمين. ووعظ الواعظين ونظر الناظرين. بل لأجلهما أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل. بل لأجلهما خلقت السموات والأرض وما بينهما.

وتأمل آيتين في كتاب الله - «احداهما» - قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١)

وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم، ولا سيما علم التوحيد.

و «الثانية» - قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)

وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الإقبال عليها. فأعظم بأمرين هما المقصود من خلق الله، فحق للعبد ألا يشتغل إلا بهما، ولا ينظر إلا فيهما.

واعلم أن ما سواهما من الأمور لا خير فيه ولا حاصل تحته. فإذا علمت ذلك فاعلم أن العلم أشرف الجوهرين وأفضلهما.

ومع ذلك فلا بد مع العلم من العمل به، وإلا كان هباء منثورا، فإن العلم بمنزلة الشجرة، والعبادة بمنزلة الثمرة، والشرف للشجرة إذ هي الأصل، لكن الانتفاع إنما يحصل بثمرها.

---

(١) سورة الطلاق آية ١٢.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

فإذا لا بد أن يكون لك من كلا الأمرين حظ ونصيب. بل لا بد للعبد من أربعة أشياء: العلم، والعمل، والإخلاص، والخوف، فيعلم الطريق أولا وإلا فهو أعمى ثم يعمل بعلمه ثانيا وإلا فهو محجوب. ثم يخلص العمل ثالثا وإلا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات وإلا فهو مغرور فإن الأعمال بالخواتيم، وما يدري ماذا يختم له به.

شؤم المعاصي

قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾[1].

وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**».

قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى: هذا حديث حسن صحيح رواه الدارقطني وغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» رواه الترمذي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خصال خمس أعوذ بالله أن تدركوها: لم تظهر الفاحشة في قوم إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا**

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٠.

أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » رواه ابن ماجه والبيهقي والبزار.

واعلم أن للمعاصي من الآثار القبيحة بمقدار ما للتقوى، من الأوصاف الحسنة.

وبالجملة، فكما أنه لا خير في الدنيا والآخرة إلا وسببه التقوى فكذلك ليس في الدنيا والآخرة شر ولا بلاء ولا محنة إلا سببه المعاصي، فهي سبب كل فساد في البر والبحر، من هلاك الأديان والأبدان، والأمراض والاسقام، وفساد الزروع والثمار، والقحط والخوف، والغرق في البحر، وهلاك الأموال والأنفس وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

وهي سبب زوال النعم وحلول النقم، والندم حيث لا ينفع الندم، قال الله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[2].

وهي سبب زوال الإيمان واللعنة وغضب الرحمن، والذل والمسكنة والهوان قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3] ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[4] وهي سبب لعن

(١) سورة الروم آية ٤١.
(٢) سورة الرعد آية ١١.
(٣) سورة البقرة آية ٦١.
(٤) سورة البقرة آية ٦١.

أهل الكتاب وامتحانهم بما أخبر الله تعالى به عنهم مرة بالقتل والسبي وجور الملوك، (يسومونهم سوء العذاب، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم). وأخرى بخراب الديار ونهب الأموال، كما قال الله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾[1]

وتارة بمسخهم قردة وخنازير. كما قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2]. بل هي سبب هلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية لقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

ثم حذرنا الله أن يحل بنا ما حل بهم بقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[4].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[5] وبقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6]

وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۝ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[7].

---

(١) سورة الإسراء آية ٥.
(٢) سورة الاعراف آية ١٦٦.
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٠.
(٤) سورة الحديد آية ١٦.
(٥) سورة هود آية ٨٣.
(٦) سورة النور آية ٦٣.
(٧) سورة طه آيات ٨١ - ٨٢.

عظمـــــــت مصيبـــــــة من عصى مولاه

وخـــلا بـــذاك الـــذنـــب وهو يراه

كيــــــف استقر قراره لمـــــا عصى

أم كيـــف لا تجري دمـــا عينـــاه

يـــا مـــذنبـــا لم تجر منـــه دموعـــه

أسفـــا عـــلى مـــا كـــان من بلواه

إني أظنـــــــــك مبتــــــــلى بقساوة

يـــا من يقـــل دموعـــه وبكـــاه

فضل الذكر

وقد جاء في فضل الذكر عموما، وفضل هذه الكلمات خصوصا ما لا يحصر من آي الكتاب والسنة، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا • وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[1]

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال ذكر الله** » رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) سورة الاحزاب آيات ٤١ - ٤٢.
(٢) سورة الأنفال آية ٤٥.
(٣) سورة آل عمران آية ١٩١.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرا**» وقيل: يا رسول الله، ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: «**ولو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر افضل منه وارفع درجة**» رواه الترمذي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس**» رواه مسلم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي فقال: يا محمد اقرىء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن جل وعلا، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾**[1] رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ممّا تذكرون من جلال الله التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها، أما يحب**

---

(١) سورة فاطر آية ١٠.

احدكم أن يكون له من يذكر به» (رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«ما على وجه الأرض أحد يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»** رواه الحاكم وصححه.

قال الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله، إنما قيد سبحانه في قوله ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] الذكر بالكثرة لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله كانت عليه حسرة يوم القيامة.

وفي البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال: **«ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة»**.

وعن معاذ يرفعه: **«ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»**.

وقال أبو الدرداء: **«لكل شيء جلاء وجلاء القلوب ذكر الله»**.

وفي البيهقي مرفوعا: **«لكل شيء صقالة وإن صقالة القلب ذكر الله»**.

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس وغيره، وجلاؤه ذكر الله فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء، وإذا ترك الذكر صدئ، وصدأ القلب من أمرين: الغفلة والذنب. وجلاؤه بأمرين: الذكر والاستغفار فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكما على قلبه،

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٥.

وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل. فإن تراكم عليه الصدأ أظلم واسود، وركبه الران الذي قال الله تعالى فيه:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وحينئذ يفسد تصوره فلا يقبل حقا ولا ينكر باطلا، وذلك أعظم عقوبات القلوب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2]

وأصل ذلك كله من الغفلة عن ذكر الله واتباع الهوى في سخط الله، فإنهما يطمسان نور البصيرة، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[3].

فإذا أردت أن تقتدي برجل فانظر هل الغالب عليه الذكر أو الغفلة؟ وهل الحاكم عليه اتباع الهوى أم السنة، فإن كان من أهل الغفلة والهوى فلا تقتد به ولا تتبعه، فأمره فرط، معناه، مضيع أمره، أي أن أمره الذي يجب عليه أن يقوم به ويلازمه وبه رشده وفلاحه - ضائع، لأنه قد فرط فيه، وقد نهى الله سبحانه عن طاعته.

فوائد الذكر

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة:

(منها) أنه يطرد الشيطان ويقمعه فيحرز العبد نفسه منه، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه عن

---

(١) سورة المطففين آية ١٤.
(٢) سورة الحج آية ٤٦.
(٣) سورة الكهف آية ٢٨.

ذكر الله. فإنه لا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة عن ذكر الله، لأنه جاثم على قلب ابن آدم فإذا غفل وسوس، وإذ ذكر الله انخنس وتصاغر عدو الله حتى يصير كالذباب، وبهذا سمي الوسواس الخناس.

(ومنها) أنه يرضي الرحمن عز وجل، ويزيل الهم والغم، ويجلب الفرح والسرور ويقوي القلب والبدن، وينور القلب والوجه، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر الهيبة والوقار.

(ومنها) أنه يوصل العبد إلى المقامات الرفيعة. كمقام المحبة التي هي قطب رحى الدين. ومدار السعادة. فقد جعل الله لكل شيء سببا، وسبب المحبة دوام الذكر وكما أن الدرس والمذاكرة باب العلم. فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم. وكمقام المراقبة والإحسان. فيعبد الله كأنه يراه. وكمقام الإنابة إلى الله فمتى لازم العبد ذكر الله تعالى أورثه رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيكون الله لا غيره مفزعه عند النوازل. وكمقام المعرفة. فإنه كلما أكثر من ذكر الله فتح الله له بابا عظيما من المعرفة. وكمقام القرب. فإنه على قدر ذكره الله عز وجل يكون قريبا منه، وفي الحديث: «**أنا جليس من ذكرني**» وكمقام الخشية لله، فإنه على قدر ذكر الله وحضور قلبه فيه تكون خشيته منه، بخلاف الغافل فإن حجاب الخشية في قلبه رقيق.

(ومنها) أنه يورث ذكر الله للعبد، كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [1] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها شرفا.

(ومنها) أنه يؤمن العبد من نسيان الله له الذي هو سبب البعد في الدنيا والآخرة، فإن من نسي الله نسيه الله، ومن نسيه الله أنساه الله

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٢.

نفسه ومصالحها قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]. وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها فهلكت، وصار أمره فرطا، فانفرط عليه أمره وأحاطت به أسباب الخيبة والحرمان والهلاك في معاشه ومعاده - كما أن من نسي بستانه ومزارعه فلم يقم بها ولم يتعاهدها ضاعت وفسدت وهلكت، ولكن أين هلاك الدين من هلاك المال؟ فإن هلاك الدين لا صلاح بعده ولا فلاح، والعياذ بالله تعالى ولو لم يكن في الذكر إلا هذه الفائدة لكفى فمن نسي الله أنساه نفسه ومصالحها في الدنيا، ونسيه في العذاب في القبر وفي العقبى، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ - إلى قوله -﴿ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[2] اي تنسى في العذاب، فلا أمان للعبد من ذلك كله إلا بذكر الله تعالى.

(ومنها) أن يتيسر للعبد وهو على فراشه او في سوقه فيسبق الصائم القائم مع الغفلة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فالفضل الذي رتب فيه لم يرتب على غيره مع انه أيسر العبادات.

وفي الحديث: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**» وفي الصحيحين: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومه مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**».

---

(١) سورة الحشر آية ١٩.

(٢) سورة طه آيات ١٢٤ - ١٢٦.

وفيها: : «من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وفي الترمذي «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

فالذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والجهاد في سبيل الله. والصيام والقيام والحج والعمرة وينوب عن الطاعات النفلية كلها، سواء كانت بدنية أو مالية أو بهما معا كحج التطوع.

كل ذلك قد جاء في الحديث الصحيح.

(ومنها) أنه طريق الطائفة أهل الله، ومنشور الولاية، فهو باب الدخول على الله، وهو في طريق القوم بمثابة الطهارة للصلاة فمن تطهر وجد ربه وناجاه ومن وجده وجد عنده كل شيء، كما ان من فقده فقد كل شيء.

فالذكر أصل موالاة الله تعالى كما أن الغفلة رأس معاداته فمن أكثر من ذكر الله أحبه، ومن أحب الله أحبه الله، ومن أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، فيسمع بالله ويبصر بالله، وينطق بالله، ومن غفل عن الله وأعرض عن ذكره أدى ذلك إلى أن يكره ذكر الله، وتنفر نفسه عن مجالسة ذكر الله وعن الذاكرين، وذلك علامة عداوته لله من حيث لا يشعر. والعياذ بالله.

(ومنها) أن مجالس الذكر رياض الجنة، فمن شاء أن يرتع رياض الجنة فليذكر الله وهي أيضا مجالس الملائكة الكرام عليهم السلام.

وفي صحيح مسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم

الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ».

وفي الصحيحين: « إن لله ملائكة يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فتحفهم الملائكة بأجنحتها إلى سماء الدنيا » الحديث.

(ومنها) أن الأعمال كلها إنما شرعت لإقامة ذكر الله قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[1] أي لأجل ذكري وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2] أي أكبر من كل عمل.

واعلم أن ما ورد في فضل الذكر من الآيات والأخبار والآثار لا يحصى بل قد انكشف لأرباب البصائر أن ذكر الله تعالى بشروطه وآدابه أفضل الأعمال. «فإن قلت » ما باله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها « فاعلم » أن تحقيق ذلك لا يليق إلا بعلم المكاشفة. والقدر الذي يسمح لك بذكره في علم المعاملة أن تعلم أن المؤثر الدافع للقلب هو الذكر على الدوام مع حضور القلب مع الله. فأما ذِكر اللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يشهد لذلك. فحضور القلب مع الله على الدوام هو المقدم على سائر العبادات، بل به شرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر، فأوله يوجب الأنس بالله وآخره يوجب الحب لله، والمطلوب ألا يذكر إلا مع الأنس بالله. والذاكر يكون في البداية متكلفا لصرف قلبه عن الوسواس ولسانه عن

---

(١) سورة طه آية ١٤.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٥.

اللغو إلى ذكر الله ثم يأنس بذكر الله تعالى، وينغرس في قلبه حب المذكور، ثم يصير مضطرا إلى كثرة ذكر الله تعالى، فإن من أحب شيئا ولع بذكره ولم يصبر عنه.

المهلكات والمنجيات

اعلم أن الأخلاق المذمومة والخصال الممقوتة كثيرة، وكذلك الأخلاق المحمودة والخصال المحبوبة التي ينبغي للمؤمن أن يتحلى بها كثيرة أيضا وقد استوفى الكلام في ذلك كله الإمام حجة الإسلام في النصف الثاني من الاحياء في ذكر المهلكات والمنجيات، وكلامه في هذه الفنون هو المعوّل عليه والمرجع إليه، لكماله في العلم والعبادة، والزهد والمعرفة، ولأنه جمع في ذلك كلام من تقدمه من السلف الصالح ومشايخ الطريق. وقد اقتفى آثاره واقتبس من أنواره من جاء بعده من أهل هذا الشأن من علماء المسلمين وصالحيهم من أهل سائر الآفاق والبلدان مثل شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن علوي الحداد صاحب النصائح الدينية كما يعرف ذلك ويعلمه تحقيقا من له رسوخ في هذه العلوم، وغوص واطلاع على أسرار طريق الله.

المهلكات

أما المهلكات التي يجب تخلية القلب وإعراضه عنها فكثيرة فنذكر شيئا من أمهاتها ومهماتها:

الشك في الدين

من أعظم أمراض القلوب - الشك في الدين

فأول ذلك - أنه يجب على الإنسان أن يزكي قلبه. ويطهره من رذيلة الشك في الله ورسوله والدار الآخرة. فإن ذلك من أعظم أمراض القلوب المهلكة في الآخرة.

والتي تضر ضررا عظيما، خصوصا عند الموت، وقد تؤدي والعياذ بالله إلى سوء الخاتمة، وهذا الشك قد يبتلى به بعض الناس. فلا يجوز لمن وجد شيئا من ذلك أن يضمره في نفسه، ويطويه في قلبه فيلقى الله شاكا، بل يجب عليه أن يجتهد في إزالة ذلك، ويسعى في نفيه عنه بكل ما يمكنه.

ومن الشك في الله أن يعتقد فيه سبحانه وتعالى ما لا ينبغي مما ينافي كمال التنزيه.

ومن الشك في رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعتقد فيه ما لا ينبغي مما ينافي كمال العصمة له وذلك كاعتقاد ما يخرجه عن حد البشرية إلى حد الألوهية أو اعتقاد ما يساويه مع البشر سواء في كل شيء بلا مزية فكلا الاعتقادين باطل.

وأنفع الأشياء في إزالته سؤال العلماء بالله تعالى وبدينه أهل اليقين والخشية والزهد في الدنيا، فإن لم يصادف واحدا منهم فلينظر في كتبهم التي ألفوها في علوم التوحيد واليقين. ولست أعني بالشك ما يجده الإنسان من الخواطر والوساوس في أمور الإيمان بما يعلم بطلانه، ويجد قلبه مصمما على خلافه، ونفسه كارهة له ونافرة عنه، فإن ذلك هو الوسوسة، ويكفي الإنسان فيها أن يكرهها ويعرض عنها ويستعيذ بالله منها.

من أعظم أمراض القلوب الكبر والخيلاء

ومن أعظم أمراض القلوب وصفاتها المهلكة (الكبر) وهو من صفات الشياطين قال تعالى في ابليس اللعين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] والمتكبر

(١) سورة البقرة آية ٣٤.

بغيض إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[1] - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2] والخيلاء والفخر من أوصاف المتكبرين، والمتكبر متعرض لأن يطبع الله على قلبه كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[3] والمتكبر مصروف عن آيات الله، كما قال تعالى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[4]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة ازاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار**»، رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما وابن ماجه واللفظ له.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة مثل الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان**» رواه الترمذي.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من تعظم في نفسه، واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان**» رواه الطبراني والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**». رواه الشيخان والنسائي وغيرهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا**

---

(١) سورة النحل آية ٢٣.
(٢) سورة لقمان آية ١٨.
(٣) سورة غافر آية ٣٥.
(٤) سورة الأعراف آية ١٤٦.

ونعله حسنة فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق - يعني رده - وغمط الناس»». رواه مسلم.

يعني احتقارهم وازدراءهم فمن تعاظم في نفسه وأعجب بها واحتقر الناس واستصغرهم فهو المتكبر الممقوت.

والكبر إنما يكون في القلب، ولكن تكون له علامات في الظاهر تدل عليه، فمنها حب التقدم على الناس، وإظهار الترفع عليهم، وحب التصدر في المجالس والتبختر والاختيال في المشية، والاستنكاف من أن يرد عليه كلامه وإن كان باطلا، والامتناع من قبوله والاستخفاف بضعفة المسلمين ومساكينهم ومنها: تزكية النفس والثناء عليها، والفخر بالآباء من أهل الدين والفضل، والتبجح بالنسب وذلك مذموم ومستقبح جدا، وقد يبتلى به بعض اولاد الأخيار ممن لا بصيرة له ولا معرفة بحقائق الدين.

ومن افتخر على الناس بنسبه وبآبائه ذهبت بركتهم عنه، لأنهم ما كانوا يفتخرون ولا يتكبرون على الناس، ولو فعلوا ذلك لبطل فضلهم. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمة رسول الله «ﷺ» لا أغنى عنكم من الله شيئا، اشتروا أنفسكم من النار» رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لأحمر على اسود، ولا لعربي على عجمي إلا بتقوى الله أنتم من آدم وآدم من تراب» رواه الترمذي وأبو داود.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لينتهين أقوام عن الفخر بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان» رواه أبو داود والترمذي.

فالفضل والكرم بالتقوى لا بالنسب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] ولو أن إنسانا كان من أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم، ثم تكبر على الناس وافتخر عليهم لأحبط الله تقواه وأبطل عبادته، فكيف بالجاهل المخلط الذي يتكبر على الناس بتقوى غيره وصلاح غيره من آبائه وأجداده فهل هذا إلا جهل عظيم وحمق فظيع؟ وإن الخير كله في التواضع والخشوع والخضوع لله.

قال عليه الصلاة والسلام: « **من تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله** » رواه الطبراني.

وإن حب الخمول والاختفاء، وكراهية الشهرة والظهور لمن أخلاق صالحي المؤمنين. والرضا بالدون من المجلس ومن اللباس والطعام وسائر أمتعة الدنيا كذلك أيضا، فاحرص أيها المؤمن على ذلك.

من أعظم آفات القلوب: الرياء

ومن أعظم المهلكات - الرياء. وقد سماه رسول الله ﷺ بالشرك الأصغر، والشرك الخفي. ومعنى الرياء طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة كالذي يصلي ويصوم، ويتصدق ويحج، ويجاهد ويقرأ القرآن، ليعظمه الناس لذلك ويكرموه أو يعطوه من أموالهم - فذلك هو المرائي، وعمله مردود، وسعيه خائب، سواء فعل له الناس ما

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

أمله منهم او لم يفعلوه له، وقد قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ • الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ • الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ • وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: « **يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء ونصيبي لشريكي** » رواه مسلم وابن ماجه ومالك في الموطأ وقال عليه الصلاة والسلام: « **من صام يرائي فقد أشرك ومن صلى يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك** » رواه الإمام احمد بتقديم من صلى وقال عليه الصلاة والسلام: « **من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس الله وجهه، ومحق ذكره وأثبت اسمه في النار** » رواه الديلمي والطبراني وأبو نعيم.

وقال عليه الصلاة والسلام: « **من أحسن الصلاة حيث يراه الناس، وأساء الصلاة حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى** » رواه أبو يعلى وعبد الرزاق في الجامع والبيهقي في الشعب.

فالرياء مهلك وخطره عظيم، والاحتراز منه واجب مهم، وأشد أنواعه: أن يتجرد باعث الرياء في العبادة بحيث يصير أول ما يقصده الناس، ويصير حريصا على اطلاعهم ونظرهم إليه، ولم يجد باعثا على

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠.
(٢) سورة الشورى آية ٢٠.
(٣) سورة الماعون آيات ٤ - ٥ - ٦ - ٧.

العمل غير ذلك أصلا، ودون ذلك: أن يقصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وطلب ثواب الآخرة، مع مراءاة الناس وطلب المحمدة عندهم والمنزلة وهذا قبيح محبط للثواب، والذي قبله أقبح وأحبط وأخطر، ولا يخلو صاحبه من الإثم والعقاب.

فعلى المؤمن أن يجتهد في دفع الرياء عن نفسه، وأن لا يكون له نية ولا قصد في جميع طاعاته وعباداته إلا التقرب إلى الله وطلب ثواب الآخرة، فبذلك يخلص من الرياء ويسلم من شره وبليته إن شاء الله تعالى. ومهما خاف على نفسه الرياء فليخف أعماله ويفعلها في السر، حيث لا يطلع عليه الناس، فذلك أحوط وأسلم، وهو افضل مطلقا أعني العمل في السر حتى لمن لم يخف على نفسه الرياء - إلا للمخلص الكامل، الذي يرجو إذا ظهر العمل أن يقتدي به الناس فيه. نعم، ومن الأعمال ما لا يتمكن الإنسان من فعله إلا ظاهرا، كتعلم العلم وتعليمه، وكالصلاة في الجماعة والحج والجهاد ونحو ذلك. فمن خاف من الرياء حال فعله شيئا من هذه الأعمال الظاهرة، فليس ينبغي له أن يتركه، بل عليه أن يفعله، ويجتهد في دفع الرياء عن نفسه، ويستعين بالله تعالى، وهو نعم المولى ونعم المعين.

من أعظم الآفات: الحسد والحقد والغش

ومن المهلكات - الحسد للمسلمين، ومحبة الشر لواحد منهم وإضمار العداوة والغش والحقد لهم. وقلة الرحمة بهم والشفقة عليهم، وسوء الظن بهم، فكل ذلك من الصفات المهلكة.

أما الحسد - فحسبك به ذما وقبحا أن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد، كما أمره بالاستعاذة من شر الشيطان فقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [1] وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم

(١) سورة الفلق آية ٥.

والحسد، **فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » رواه أبو داود.

وقال عليه الصلاة والسلام: « **لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد** » رواه ابن حبان في صحيحه وهو طرف من روايته.

وقال عليه الصلاة والسلام: « **لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا..** » متفق عليه.

ومعنى الحسد: أن يجد الإنسان في صدره وقلبه ضيقا وحرجا، وكراهية لنعمة أنعم الله بها على عبد من عباده في دينه أو دنياه، حتى انه ليحب زوالها عنه، وربما تمنى ذلك وان لم تصر إليه. وذلك منتهى الخبث. فمن وجد شيئا في نفسه من هذا الحسد لأحد من المسلمين فعليه إن يكرهه ويخفيه في نفسه، ولا يظهره بقول ولا فعل، فلعله أن ينجو بذلك من شره.

ولا بأس بالغبطة - وهي أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي تراها على أخيك من فضل الله ثم إن كان ذلك من النعم الدينية كالعلم والعبادة كان محمودا، وإن كان من النعم الدنيوية كالمال والجاه المباح كان ذلك جائزا مباحا.

وأما حب الشر لأحد من المسلمين، وإضمار الغش والعداوة والحقد فحسبك زاجرا عنه قوله عليه الصلاة والسلام: « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ».

وقال عليه الصلاة والسلام: « **من غش المسلمين فليس منهم** »: رواه الطبراني في الكبير.

وقال عليه الصلاة والسلام: « **إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل وذلك من سنتي** » رواه الترمذي.

الغش: ترك النصيحة والتزين لغير مصلحة.
الحقد: الانطواء على العداوة والتربص لفرصتها.

من أعظم الآفات: قلة الرحمة بالمسلمين وسوء الظن بهم

وأما قلة الرحمة بالمسلمين والشفقة عليهم - فذلك يدل على قساوة القلب، وعلى الفظاظة والغلظة، وكل ذلك مذموم وقبيح، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» رواه أبو داود والترمذي وقال عليه الصلاة والسلام: «**من لا يرحم لا يرحم**» رواه الشيخان، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**». رواه الشيخان.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**» رواه أبو داود والترمذي.

ومن لم يجد في قلبه رحمة وشفقة على جميع المسلمين سيا على أهل المصائب والبلايا، وأهل الضعف والمسكنة فذلك لقساوة قلبه، وضعف إيمانه، وبعده عن ربه.

وأما سوء الظن بالمسلمين - فمذموم قبيح، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**». متفق عليه. ومعنى سوء الظن بالمسلمين أن يظن بهم السوء في أقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها الخير، وتظن بهم خلاف ما يظهرون من ذلك. هذا غايته.

وأيضا - أن ينزل أفعالهم وأقوالهم التي تحتمل الخير والشر على جانب الشر، مع إمكان تنزيلها على جانب الخير، فذلك من سوء الظن أيضا، ولكنه دون الأول، وحسن الظن بالمسلمين خلاف ذلك كله، فما كان من أفعالهم وأقوالهم ظاهره الخير حملته على الخير أو ظننت فيهم الخير وما كان من الأقوال والأفعال يحتمل الخير وغيره نزلتـه على الخير. فاعمل على ذلك جهدك، واستعن بالله تعالى والله ولي التوفيق.

من أعظم الآفات: حب الدنيا

ومن المهلكات العظيمة - حب الدنيا وإرادتها، وشدة الحرص عليها والرغبة فيها وحب الجاه والمال، وكثرة الحرص عليها، والشح والبخل، فجميع هذه المذكورات من الصفات المهلكات، والخصال المذمومات. ومن احب الدنيا وأرادها، واشتد حرصه عليها وعظمت رغبته فيها فقد تعرض بذلك لخطر عظيم، ووعيد من الله شديد، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ • أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[2] وقال تعالى مزهدا عباده في الدنيا ومذكرا لهم بذهابها وفنائها: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[4].

---

(١) سورة هود آيات ١٥ - ١٦.

(٢) سورة الإسراء آية ١٨.

(٣) سورة الكهف آية ٤٥.

(٤) سورة الحديد آية ٢٠.

وقال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ • وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا • فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[1].

بيان المراد من الدنيا في معرض الذم

ثم إن الدنيا عبارة عن كل ما على وجه الأرض من المشتهيات واللذات، وأصناف الأمتعة التي تشتهيها النفوس وتميل إليها، وتحرص عليها. وقد جمع الله أصول ذلك كله في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَٰطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَٰمِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَـَٔابِ ﴾[2].

فمن أحب ذلك ورغب فيه، واشتد حرصه عليه، وليس له غرض في ذلك إلا مجرد التمتع والتلذذ والتنعم صار بذلك من جملة المحبين للدنيا والراغبين فيها، فإن أفرط به ذلك وغلب عليه، حتى لم يبال من أين أخذ الدنيا من حلال أم حرام، وحتى اشتغل بسبب حرصه على الدنيا وسعيه لها عما فرض الله عليه من طاعته، ووقع بسببه فيما حرم الله عليه من معصيته فقد تحقق في حقه الوعيد الوارد في المحبين للدنيا والمريدين لها، والراغبين فيها من غير شك وصار أمره في نهاية الخطر، إلا ان يتداركه الله بتوبته قبل مماته، وقبل خروجه من هذه الدار.

---

(١) سورة النازعات آيات ٣٧ - ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة آل عمران آية ١٤.

من أعظم الآفات: حب الجاه والمال

وأما حب الجاه والمال، وكثرة الحرص عليهما - فمذموم جدا، قال الله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٣).

فمن اشتد حرصه على الجاه، وطلب المنزلة، والتعظيم في قلوب الناس فقد تعرض بذلك لآفات كثيرة، كالكبر والرياء، والتزين والتصنع، وترك التواضع للحق وأهله، وكراهية الخمول، إلى غير ذلك من البليات.

ومن اشتد حرصه على المال فقد تعرض بذلك لأخطار عظيمة، وبليات جسيمة إن لم يحفظه الله ويتداركه برحمته.

والمذموم من حب الجاه والمال ومن الحرص عليهما شدة ذلك وإفراطه، حتى يطلبها الإنسان ويتسبب في حصولها بكل وجه يمكنه من جائز وغير جائز، ويصير بها في شغل شاغل عن التفرغ لعبادة الله وذكره، كما يقع ذلك كثيرا لبعض المفتونين الغافلين عن الله تعالى.

---

(١) سورة القصص آية ٨٣.
(٢) سورة المنافقون آية ٩.
(٣) سورة التغابن آية ١٥.

فأما من طلب ذلك بنية صالحة للإستعانة به على الآخرة، وصيانة الدين والنفس عن تعدي الظالمين، وعن الحاجة إلى الناس، ولم يشتغل بسبب ذلك عن عبادة الله تعالى وذكره، ولم تفارقه التقوى والخوف من الله فذلك مما لا بأس به ولا حرج فيه إن شاء الله تعالى. وعلى كل حال - فقلّة الحرص على الجاه والمال وترك الرغبة فيهما أسلم وأحوط، وأقرب إلى التقوى وأشبه بهدي السلف الصالح.

من أعظم الآفات: الشح والبخل

وأما الشح والبخل: فقبيحان مهلكان، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2].

والشح: هو البخل المفرط الشديد، وهو كما قال بعض العلماء رحمهم الله: حرص الإنسان على أخذ ما في أيدي الناس.

وأما البخل فهو بخل الإنسان بما في يده. وغايته أن يبخل الإنسان بإخراج الحقوق الواجبة عليه في ماله كالزكاة وما في معناها. ومن كان كذلك فهو البخيل حقا، المتعرض للذم والوعيد الواردين في البخل.

وأما من بخل في الانفاق في وجوه الخيرات وطرائق القربات مع التمكن من ذلك فحاله أهون من حال الذي قبله، ويسمى بخيلا أيضا لأنه قد آثر المال ورغب في إمساكه وبخل ببذله فيما هو أرفع وانفع له

---

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٠.

عند ربه: من الدرجات العلى، والخيرات الباقية في الدار الآخرة، وما دام الإنسان يرجح إمساك المال على بذله في محاب الله ومراضيه فهو غير خال عن شيء من البخل. ولا يكون الإنسان جوادا سخيا حتى يكون بذل المال في محاب الله أرجح عنده وأحب إليه من إمساكه. فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك.

من الآفات المهلكة: الغرور

ومن المهلكات الغرور - ومعناه: أن يلبس الإنسان على نفسه، ويريها الأمور على خلاف ما هي عليه، وذلك لضعف بصيرته في الدين، وقلة معرفته بحقائقه، ولجهله بآفات الأعمال ومكائد الشيطان، ولغلبة هوى النفس عليه، وركونه إلى أمانيها وخدعها وقد قال الله تعالى محذرا لعباده من الغرور: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[1]. وقال تعالى في وصف بعض المغترين: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا • الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**».

---

(١) سورة فاطر آية ٥.

(٢) سورة الكهف آية ١٠٤. ١٠٣-١٠٤

(٣) سورة الحديد آية ١٤.

وأنواع الغرور كثيرة، وأصناف المغترين من المطيعين ومن العاصين كثيرة. ومن أمثال الغرور في أهل الطاعات: أن يطلب الإنسان العلم ويسوف العمل، ثم يحتج لنفسه بما ورد في فضل العلم وفضل طلبه. ويغفل عما ورد من الذم والوعيد الشديد في حق من لا يعمل بعلمه.

ومنها - أن يتعلم ويعلم للرياسة والطمع في الناس. ويظن بنفسه أنه يتعلم ويعلم لله، ولا يناقش نفسه ولا يختبرها بأحوال أهل الإخلاص.

ومنها - أن يكثر الصلاة والقيام وأفعال الخير. ثم يعجب بنفسه. وينظر إلى حوله وقوته. وينسى منة الله عليه في توفيقه وهدايته. والعجب محبط للأعمال، أو يرائي بعبادته ويطلب بها المنزلة عند الناس، ويظن بنفسه الإخلاص وإرادة التقرب إلى الله وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: حبذا نوم الأكياس وفطرهم. كيف يغلبون سهر الحمقى وصومهم. ولذرة من صاحب يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين.

ومن أمثال غرور العصاة: أن يعصي الإنسان ثم يتوب ويستغفر بلسانه من غير معرفة بشرائط التوبة وتحقيقها ثم يظن بنفسه أنه قد تاب وقد غفر الله له.

ومنها - أن يكثر المعاصي ويصر عليها. ويقصر في الواجبات، ثم يحتج لنفسه بالقدر وأنه لا اختيار له ولا قدرة على ترك ما قد كتب عليه، وهذا غرور عظيم، والقائل به مبتدع وليس من أهل السنة.

ومنها - أماني المغفرة مع التقصير عن امتثال الأوامر واجتناب المحارم، وقول بعض العصاة والمقصرين: إن الله غني عنا وعن أعمالنا، وليس تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعات، وهذا الكلام حق أريد به باطل، وقد ألقاه الشيطان على قلب هذا المتمني، وأجراه على لسانه ليقطعه به عن المغفرة، وعن السعي لما الذي أمره الله به.

ومنها - اتكال بعض العصاة والمخلصين على صلاح آبائهم وأجدادهم من أهل العلم والصلاح، مع ترك الاقتداء بهم في أخلاقهم وأفعالهم وأقوالهم الصالحة. وذلك من الغرور المذموم، والحمق الفاحش.

ومنها - اغترار بعض العصاة برؤية الصالحين وخدمتهم، وحسن الظن بهم مع المجانبة والمباعدة لما هم عليه من الخير والصلاح، والملازمة لطاعة الله.

وأنواع الغرور كثيرة كما تقدم، ولا ينجي منها إلا الرجوع إلى الله، والإتكال على محض فضله وكرمه، مع الجزم والاحتياط والتشمير في طاعته، والجد والاجتهاد في عبادته، ومع اجتناب معصيته، والشكر له على ذلك مع الاعتراف بغاية التقصير عن القيام بأقل شيء من واجب حقه، ومع ملازمة الإنكسار، ونهاية الافتقار إليه، مع دوام التضرع والدعاء، ولزوم الاستغفار آناء الليل والنهار. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المنجيات

وأما المنجيات التي يجب تحلية القلب واتصافه بها فكثيرة، فنذكر شيئا من أمهاتها ومهماتها، وننبه عليها بكلام مجمل وجيز، إن شاء الله تعالى.

التوبة

فمن أعظم المنجيات التوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوب وقد أمر الله عز وجل عباده بالتوبة، ورغبهم فيها، ووعدهم بقبولها فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النور آية ٣١.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[4]

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها**» رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له**» رواه ابن ماجه. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» رواه الترمذي وابن ماجه، أي تبلغ روحه إلى الحلقوم حين الموت. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ويتوب الله على من تاب**» رواه أحمد والشيخان.

شروط التوبة:

ثم اعلم رحمك الله - أن التوبة ليست هي قول العبد بلسانه استغفر الله وأتوب إليه، من غير ندم بالقلب، ومن غير إقلاع عن الذنب.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.
(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢.
(٣) سورة المائدة آية ٣٩.
(٤) سورة الشورى آية ٢٥.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله للتوبة شرائط لا بد منها، ولا تتم التوبة إلا بها وهي ثلاثة: (الأول) الندم بالقلب على الذنوب السالفة و(الثاني) الإقلاع عن الذنب ومعناه أن لا يتوب من ذنب وهو مقيم عليه وملازم له. و(الثالث) العزم على أن لا يعود إلى الذنوب ما عاش وهذه الثلاث لا بد منها في التوبة من الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه. ويزاد عليها «شرط رابع» في الذنوب التي تكون بين العبد وبين غيره من العباد ألا وهو رد المظالم إلى أهلها.

فإذا تاب العبد من ذنوبه على الوجه الذي وصفناه - فينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو من ربه قبول توبته بفضله وكرمه، ويخاف من عدم قبول التوبة مخافة أنه لم يأت بالتوبة على وجهها الذي أمره الله به، فيكون غير تائب عند الله.

وينبغي لكل مؤمن ويجب عليه وجوبا متأكدا: أن يحترز من جميع الذنوب احترازا كليا لأن فيها سخط الله ومقته وهي السبب في جميع البليات والهلكات التي تحل بالعباد في الدنيا والآخرة. ثم إن وقع في شيء من الذنوب وجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله من ذنبه من غير إصرار، ولا إقامة على الذنب، ولا رضا به.

وينبغي لكل مؤمن أن لا يزال تائبا إلى الله، ومجددا للتوبة في كل حال وحين وذلك لأن الذنوب كثيرة، ومنها الصغائر والكبائر، والذنوب الباطنة، والذنوب الظاهرة. وذنوب يعلمها العبد، وذنوب لا يعلمها، وقد يؤاخذ بها من حيث أنه قصر في طلب العلم بكونها ذنوبا، أو من حيث أن لها مقدمات وسوابق داخلة في العلم والاختيار.

الإكثار من الاستغفار

ومن المتأكد المهم - الإكثار من الاستغفار، فقد أمر الله به، ورغب فيه فقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2].

وقال تعالى في وصف عباده المصلين المحسنين:

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم. وقال عليه الصلاة والسلام: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا**». رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والبيهقي.

وحسبك في فضل الاستغفار ومنافعه وفوائده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4] وقوله تعالى مخبرا عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[5].

فالتوبة والاستغفار من كنوز الخيرات، ومن أعظم أبواب القربات والبركات. ومن أوصل الوسائل إلى جميع خيرات الدنيا والآخرة. فعليكم

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠.
(٢) سورة محمد آية ١٩.
(٣) سورة الذاريات آية ١٨.
(٤) سورة الأنفال آية ٣٣.
(٥) سورة نوح آيات ١٠ - ١١ - ١٢.

رحمكم الله بلزوم التوبة والاستغفار آناء الليل والنهار. ثم إن الشيطان لعنه الله قد يخدع بعض الأغبياء من المسلمين فيقول له: كيف تتوب وأنت لا تعرف من نفسك الثبات على التوبة. وكم تعود إلى الذنب؟ ويلقي عليه وساوس من هذا الجنس فليحذره المسلم ولا يغتر، ولا يأخذ بتزويره وتلبيسه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « **ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة** » رواه أبو داود والترمذي. وعلى العبد أن يتوب، ويسأل من ربه الإعانة والتثبيت. ثم إن غلبته نفسه على العود إلى الذنب فليغلبها على العود إلى التوبة. والله الموفق والمعين.

الرجاء والخوف

ومن المنجيات (الرجاء في الله والخوف من الله) والرجاء والخوف من المقامات الشريفة، وقد وصف الله بهما أنبياءه والمرسلين وأتباعهم بإحسان من صالحي المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ** ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ** ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٧.
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٠.
(٣) سورة البقرة آية ٢١٨.
(٤) سورة المؤمنين آية ٦٠.

واعلم - أن الخوف زاجر، يزجر الإنسان عن المعاصي والمخالفات، والرجاء قائد يقود العبد إلى الطاعات والموافقات. فمن لم يزجره خوفه عن معصية الله عز وجل ولم يقده رجاؤه إلى طاعة الله تعالى كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يعتد بها ولا يعول عليها، لخلوهما عن ثمرتها المقصودة، وفائدتها المطلوبة.

وقد ساء فهم بعض الناس في معنى الرجاء في الله وظنوا أن معناه إباحة الإقبال على المعاصي والاستمرار فيها اعتمادا على سعة الرحمة الإلهية فهلكوا من حيث لم ينووا. وقد وقع في ذلك طوائف من عامة المسلمين المغترين بالله، والرجاء على هذا الوصف هو الرجاء الكاذب وهو الاغترار بالله. وليس من الرجاء المحمود في شيء، لأن الرجاء المحمود هو الذي يقود العبد إلى العمل بطاعة الله. ويحمله على سلوك سبيل مرضاته. فليحذر المؤمن من الرجاء الذي يكون بهذه المثابة، فإنه غرور من الشيطان، وشر ساقه إليه في معرض الخير.

وليحذر المؤمن كل الحذر من الأمن من مكر الله ومن القنوط من رحمته، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2].

والأمن من مكر الله: عبارة عن تمحض الرجاء وذهاب الخوف من الله بالكلية حتى لا يجوز أن الله يعذبه ويعاقبه.

وأما القنوط: فهو عبارة عن تمحض الخوف وذهاب الرجاء بالكلية، حتى لا يجوز أن الله يرحمه ويتجاوز عنه. والأمن من مكر الله،

---

(١) سورة الأعراف آية ٩٩.

(٢) سورة الحجر آية ٥٦.

والقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب فاحذر منها أيها المؤمن، وكن بين الخوف والرجاء. ولا تغتر بربك. ولا تجترئ عليه فإن ربك سريع العقاب. وإنه لغفور رحيم.

الصبر على البلاء

ومن المنجيات العظيمة - الصبر على بلاء الله. والشكر لنعماء الله. والزهد في الدنيا الشاغلة عن الله.

أما الصبر - ففضائله عظيمة. وحاجة المؤمن إليه في الأحوال كلها داعية وعامة وما ورد في الصبر عن الله تعالى. وعن رسول الله ﷺ من الأمر والترغيب كثير منتشر قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[3]. وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[4] ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[6] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٣.
(٢) سورة البقرة آية ١٥٥.
(٣) سورة آل عمران آية ١٤٦.
(٤) سورة النحل آية ١٢٧.
(٥) سورة الطور آية ٤٨.
(٦) سورة السجدة آية ٢٤.
(٧) سورة الزمر آية ١٠.

فيحتاج المؤمن حاجة شديدة إلى الصبر عند ورود البلايا: من الشدائد والمصائب والفاقات والأذيات - بأن لا يجزع إذا نزل به شيء منها، بل ويطمئن ويتوقر ولا يضيق ولا يتضجر، ولا يشكو إلى الخلق، بل يرجع إلى الله بخشوعه وخضوعه، ودعائه وتضرعه ويحسن الظن بربه، ويعلم يقينا أن الله تعالى لم ينزل به ذلك البلاء إلا وله فيه خير كثير: من رفع الدرجات، وزيادة الحسنات وتكفير السيئات، كما وردت بذلك الأخبار الشهيرة الكثيرة.

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجة شديدة عند فعل الطاعات، بألاّ يكسل عنها وبأن يؤديها كما أمره الله من كمال الحضور مع الله فيها، والإخلاص لله، وأن لا يكون بها مرائيا، ولا متصنعا للخلق. ومن شأن النفس التثاقل عن الطاعة والتكاسل عنها فيحتاج العبد إلى إكراهها على ذلك بحسن الصبر.

ويحتاج المؤمن إلى الصبر حاجة شديدة في كف نفسه عن المعاصي والمحرمات لأن النفس قد تدعو إليها، وتتحدث بالوقوع فيها، فيمنعها بحسن صبره عن فعل المعاصي ظاهرا. وعن التحدث بها والميل إليها باطنا.

ويحتاج المؤمن حاجة شديدة إلى الصبر عن الشهوات المباحات، التي تكون رغبة النفس فيها مقصورة على التلذذ والتمتع بالدنيا المجرد، فإن الإنهاك في ذلك. والاسترسال معه يجر إلى الشبهات والمحرمات، ويكثر الرغبة في الدنيا ويهيج الحرص عليها، ويحمل على الإيثار للدنيا والأنس بها. وعلى نسيان الآخرة والغفلة عنها، فقد عرفت رحمك الله بما ذكرناه حاجة المؤمن إلى الصبر في عموم أحواله ودوام اوقاته فعليك به تفز بكل خير وتظفر بكل سعادة.

الشكر على النعماء

وأما الشكر - فهو من المقامات الشريفة، والمنازل الرفيعة، قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4] والشاكر من المهتدين الآمنين يوم القيامة وهو أول من يدعى إلى الجنة.

وأصل الشكر - معرفة العبد بأن جميع ما به من النعم، وما عليه منها في ظاهره وباطنه من الله تعالى، تفضلا منه سبحانه وامتنانا.

ومن الشكر - الفرح بوجود النعم من حيث انها وسيلة إلى العمل بطاعة الله ونيل القرب منه.

ومن الشكر - الإكثار من الحمد لله، والثناء عليه تعالى باللسان.

ومن الشكر - العمل بطاعة الله وأن يستعين بنعم الله على طاعته وأن يضع نعم الله في مواضعها التي يحبها الله - وذلك هو غاية الشكر ونهايته، وأن لا يتكبر بالنعم ولا يفتخر بها على عباد الله، ولا يبغي ولا يطغى، ولا يتعدى على العباد، ومن فعل شيئا من ذلك فقد كفر النعمة ولم يشكرها، والكفران سبب لسلب النعم وتبدلها بالنقم قال تعالى:

---

(١) سورة النحل آية ١١٤.
(٢) سورة سبأ آية ١٥.
(٣) سورة سبأ آية ١٣.
(٤) سورة آل عمران آية ١٤٥.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]

أي بتركهم الشكر عليها فالتارك للشكر متعرض للسلب والهلاك.

والشاكر متعرض للخير والمزيد، قال الله تعالى:
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2].

ومن الشكر - تعظيم النعمة وإن كانت صغيرة، نظرا إلى عظمة المنعم بها تبارك وتعالى. ثم إن لله على عبده نعما كثيرة لا تعد ولا تحصى، والعبد عاجز عن احصائها فضلا عن القيام بشكرها، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

وينبغي للإنسان - أن لا ينظر إلى من فضل عليه في النعم على سبيل الغبطة والاستكثار، فإنه ربما يزدري نعمة الله تعالى عليه ويستحقرها، فلا يشتغل بشكرها فيكون ذلك سببا لسلبها عنه وتحويلها منه فلا يعطى الكثير الذي غبط عليه أخاه ويسلب مع ذلك القليل الذي اعطاه مولاه لتركه الشكر، وعدم حفظه للأدب مع ربه، وقد فضل الله بعض العباد على بعض لأسرار له في ذلك، وحكم لا يطلع عليها سواه ولمنافع ومصالح لهم لا يحيط بعلمها غيره. فليرض العبد بقسمة ربه، وليشكره على ما أعطاه من نعمه، وليسأله المزيد من فضله، فإن خزائن السموات والأرض في قبضته وجميع الخير بيده، يفعل ما يشاء، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) سورة الأنفال آية ٥٣.
(٢) سورة إبراهيم آية ٧.
(٣) سورة النحل آية ١٨.

من المنجيات - الزهد في الدنيا

وأما الزهد في هذه الدنيا - فإنه من أفضل المنجيات، وأجل القربات، وقد قال الله تعالى مزهدا لعباده في الدنيا: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا • وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[1]

وحقيقة الزهد - خروج حب الدنيا من القلب، وهوان الدنيا على العبد، حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشيء منها أحب إليه وآثر عنده من إقبال الدنيا وكثرتها. هذا من حيث الباطن، وأما من حيث الظاهر فيكون الزاهد منزويا عن الدنيا، ومتجافيا عنها اختيارا مع القدرة عليها، ويكون مقتصرا من سائر أمتعتها مأكلا وملبسا ومسكنا وغير ذلك على ما لا بد منه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**» رواه أبو نعيم في الحلية وابن ماجه والطبراني. فأما من أحب الدنيا بقلبه، وسعى لجمعها يقصد بذلك التنعم والتمتع بشهواتها، فهو من الراغبين في الدنيا، وليس من الزهاد في شيء. فإن مال إلى الدنيا ورغب فيها، لا لتنعم ولكن لينفقها في وجوه الخيرات والقربات، فهو على خير ان وافق عمله نيته، ولا يخلو في ذلك من خطر. وأما من طلب الدنيا ورغب فيها فلم يتيسر له، ولم يحصل على مطلوبه منها فبقي فقيرا لا شيء له، فهذا هو الفقير وليس بالزاهد، وله في فقره فضل وثواب عظيم ان صبر عليه ورضي به.

وأما من تبسط في الدنيا وتوسع في شهواتها، وادعى مع ذلك أنه غير راغب فيها، ولا محب لها بقلبه، فهو مدع مغرور، لا تقوم له حجة بدعواه وليس له في حالته تلك قدوة يقتدي به من الأئمة المهتدين والعلماء الصالحين، لا من السلف ولا من الخلف.

---

(١) سورة الكهف آيات ٧ - ٨.

من المنجيات - التوكل على الله تعالى

ومن المنجيات الشريفة - التوكل على الله، والحب لله، والرضا عن الله، وحسن النية مع الله، والإخلاص في الظاهر والباطن لله.

أما التوكل على الله: فهو من أشرف مقامات الموقنين، وأعز ثمرات اليقين قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[5] وقال عليه الصلاة والسلام: «لو انكم **توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وأبو نعيم في الحلية وفي المأثور: :«حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين قذف به في النار. وقالها محمد ﷺ حين قيل لهم:

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[6]

وقال بعض السلف الصالح رحمه الله: من رضي بالله وكيلا وجد إلى كل خير سبيلا.

---

(١) سورة النمل آية ٧٩.
(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.
(٣) سورة التغابن آية ١٣.
(٤) سورة المائدة آية ٢٣.
(٥) سورة الأحزاب آية ٣.
(٦) سورة آل عمران آية ١٧٣.

وأصل التوكل: يقين القلب بأن الأمور كلها بيد الله وفي قبضته، وأنه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع غير الله، ثم طمأنينة القلب وسكونه إلى وعد الله وضمانه، حتى لا يضطرب ولا يتزلزل عند ورود الشدائد والفاقات، ولا يفزع ولا يرجع في المهمات والملمات إلا إلى الله تعالى، وإن رجع في شيء من ذلك إلى الخلق كان في الظاهر دون الباطن ويكون على موافقة الأمر الإلهي المشروع.

التوكل لا يقتضي ترك الأخذ بالأسباب:

وليس شرط المتوكل أن يكون متجردا عن أسباب الدنيا، بل قد يكون ملابسا للأسباب مع التوكل، ولكنه يكون معتمدا على الله لا على الأسباب، وعلامة صدقه في ذلك أن لا يسكن إليها، ولا يطمئن بها في حالة وجودها ولا يتزلزل ولا يضطرب عند فقدها وتشوشها.

وقد يكون العبد متجردا عن أسباب الدنيا، وهو غير متوكل، مهما كان متعلقا بالأسباب، وملتفتا إلى الخلق وطامعا فيهم.

من المنجيات - الحب في الله تعالى

وأما الحب في الله - فهو من أشرف المقامات وأرفعها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» الحديث. رواه الشيخان وقال عليه الصلاة والسلام: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله**». رواه الترمذي والحاكم.

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٥.

(٢) سورة المائدة آية ٥٤.

ومعنى الحب لله تعالى: ميل وتعلق وتأله يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع. مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه، وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى. لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ثم إن من صدق في محبة الله تعالى دعاه ذلك إلى إيثار الله على ما سواه وإلى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه، وإلى الجد في طاعته وبذل الاستطاعة في خدمته وترك ما يشغل عن ذكره، وحسن معاملته من كل شيء.

ومن أعظم ما يدل على محبة الله حسن الاتباع لرسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

من المنجيات - الرضا عن الله تعالى

وأما الرضا عن الله - فهو مجال شريف عزيز، قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2].

والراضي عن الله: هو الراضي بقضائه. فمهما قضى عليه سبحانه بما يخالف هواه وبما لا تشتهيه نفسه من مصيبة في نفس أو مال، أو بلية أو شدة أو فاقة فعليه أن يرضى بذلك ويطيب نفسا، ولا يسخط قضاء الله ولا يجزع ولا يتبرم. فإن لله تعالى أن يفعل في ملكه ما يشاء، وليس له في سلطانه منازع ولا معارض.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

(٢) سورة البينة آية ٨.

وليحذر العبد عند ذلك: من لو. ولم؟. وكيف. وليعلم إن الله تعالى حكيم عادل في جميع أفعاله وأقضيته، وأنه لا يقضي لعبده المؤمن بشيء وإن كرهته نفسه إلا ويكون له فيه خير وخيرة، وعاقبة حسنة، فليحسن ظنه بربه وليرض بقضائه وليرجع إليه بذله وافتقاره. وليقف بين يديه بخضوعه وانكساره. وليكثر من حمده والثناء عليه في يسره وعسره. وشدته ورخائه. والحمد لله رب العالمين.

من المنجيات - حسن النية والإخلاص لله تعالى

وأما حسن النية والاخلاص لله - فذلك من أعظم المنجيات وأهمها قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[2]

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريء ما نوى**» رواه الشيخان. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يبعث الناس على نياتهم**» رواه ابن ماجه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من غزا ولم ينو الا عقالا فله ما نوى**» رواه النسائي. والعقال: الحبل الذي يعقل به البعير أي يربط.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**نية المؤمن خير من عمله**» رواه البيهقي والطبراني وذلك لأن النية عمل القلب، والقلب أشرف من الجوارح فكان عمله خيرا من عملها، ولأن النية تنفع بمجردها. واعمال الجوارح بدون النية لا نفع لها. وفي الحديث: «**من هَمَّ بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة**» رواه الشيخان. فعليك رحمك الله بحسن

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٢.

(٢) سورة الإسراء آية ١٩.

النية وبإخلاصها لله. ولا تعمل شيئا من الطاعات إلا أن تكون ناويا به التقرب إلى الله وابتغاء وجهه وطلب رضاه، وإرادة الثواب الأخروي الذي وعد به سبحانه على تلك الطاعة من باب الفضل والمنة،ولا تدخل في شيء من المباحات حتى الأكل والشرب والنوم الا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله، وحصول التقوّي به على عبادته تعالى فبذلك تلحق المباحات بالطاعات، فإن للوسائل أحكام المقاصد والمغبون من غبن في حسن النية.

واجعل لك في طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة، يحصل لك بكل واحدة منها ثواب تام من فضل الله، وما عجزت عنه من الطاعات والخيرات ولم تتمكن من فعله فانوه واعزم على فعله عند الاستطاعة، وقل بصدق وعزم وصلاح نية: لو استطعته لفعلته، فقد يحصل لك بذلك ثواب الفاعل - كما بلغنا أن رجلا من بني إسرائيل مر في وقت مجاعة على كثبان من رمل، فقال في نفسه: لو كانت هذه طعاما وكان لي لقسمته على الناس فأوحى الله إلى نبيه «قل لفلان: قد قبل الله صدقتك، وشكر لك حسن نيتك».

وفي المأثور: «أن الملائكة إذا صعدوا بصحيفة العبد إلى الله تعالى، يقول الله تعالى لهم سبحانه: اكتبوا له كذا وكذا. فيقولون: إنه لم يعمله. فيقول تعالى: انه نواه.

وقال تعالى في الإخلاص: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[2].

---

(١) سورة البينة آية ٥.

(٢) سورة الزمر آية ٣.

وقال النبي ﷺ: « **أخلص دينك يجزك العمل القليل** » وسئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال: « **هو الإخلاص لله** » وقال عليه الصلاة والسلام: « **لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا له، وابتغي به وجهه** » رواه النسائي وقال عليه الصلاة والسلام: « **من أخلص لله أربعين يوما أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه** » رواه أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية وابن عدي.

ومعنى الإخلاص: أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله، وإرادة قربه ورضاه دون غرض آخر من مراءاة الناس، أو طلب محمدة منهم أو طمع فيهم.

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: ان تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا. انتهى. فالذي يعمل لقصد التقرب إلى الله وطلب مرضاته وثوابه. هو المخلص والذي يعمل لله ولمراءاة الناس هو الرائي، وعمله غير مقبول. والذي يعمل لمراءاة الناس فقط ولولا الناس لم يعمل أصلا أمره خطر هائل، ورياؤه رياء المنافقين - نعوذ بالله من ذلك. ونسأله العافية من جميع البليات.

من المنجيات - الصدق مع الله تعالى والمراقبة له

ومن المنجيات الفاضلة - الصدق مع الله، والمراقبة لله، وحسن التفكر وقصر الأمل، وكثرة ذكر الموت والاستعداد له.

أما الصدق - فقال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**».

وأول الصدق - مجانبة الكذب في جميع الأقوال. ثم ان للصدق مدخلا في جميع الأعمال والنيات. والأحوال والمقامات.

ومعنى الصدق فيها: الثبات عليها. والاتيان بها على الوجه الأحسن الأكمل الأحوط. مع بذل الاستطاعة ونهاية الجد والتشمير لله في الظاهر والباطن.

وأما المراقبة لله فمعناها: استشعار قرب الله من العبد على الدوام وإحاطته به ومعيته له. واطلاعه عليه ونظره إليه. قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[6]. وقال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة آية ١١٩.
(٢) سورة الأحزاب آية ٢٣.
(٣) سورة الأحزاب آية ٢٤.
(٤) سورة الأحزاب آية ٥٢.
(٥) سورة طه آية ٤٦.
(٦) سورة ق آية ١٦.
(٧) سورة الحديد آية ٤.

وقال صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه مسلم. فالمراقبة من مقام الإحسان. ومن تحقق بها أثمرت له الخشية لله تعالى والحياء من الله تعالى وذلك أن لا يراه حيث نهاه. ولا يفقده حيث أمره، ولا يراه متثاقلا عن طاعته، متكاسلا عن عبادته. مشتغلا عن خدمته، غافلا عن ذكره وحسن معاملته.

من المنجيات - حسن التفكر والاستقامة

وأما حسن التفكر واستقامته - ففيه منافع كثيرة، وفوائد عظيمة وقد قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ • فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

والفكر على أنواع كثيرة، وأشرف أنواعه وأفضلها: الفكر في أفعال الله وآياته وعجائب مصنوعاته في أرضه وسمواته. ومن أحسن التفكر في ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله، وهي الإكسير الأكبر. ومن أنواعه التفكر فيما لله عليك من النعم والآلاء الدينية والدنيوية وحسن التفكر في ذلك يثمر زيادة الحب لله. ويحث على الشكر لله.

ومن أنواعه - أن تتفكر في عظم حق الله عليك، وكثرة تقصيرك عن القيام بحقوق ربوبيته. وحسن التفكر في ذلك يثمر الخوف والخشية

(١) سورة البقرة آيات ٢١٩ - ٢٢٠.
(٢) سورة الروم آية ٢١.
(٣) سورة يونس آية ١٠١.

والحياء من الله تعالى ويبعث على التشمير والجد في طاعته وإقامة حقه تعالى.

ومن أنواعه - التفكر في الدنيا وسرعة زوالها، وكثرة أكدارها وأشغالها ،وحسن التفكر في ذلك يثمر الزهد في الدنيا، والتجافي عنها وقلة الرغبة فيها.

ومن أنواعه - التفكر في الآخرة وبقائها، وفي نعيمها ودوام لذاتها وسرورها. وحسن التفكر في ذلك يثمر إيثار الآخرة وكثرة الرغبة فيها، والتشمير في العمل لها. ومجاري الفكر كثيرة، وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ، وكان عمله أغزر وأوسع، كان تفكره أعظم وأكثر.

من المنجيات - قصر الأمل وكثرة ذكر الموت

وأما قصر الأمل، وكثرة ذكر الموت والاستعداد له فنفع ذلك عظيم وفضله كثير، فإن من قصر أمله، وكثر للموت ذكره، جد في صالح العمل وترك التسويف والكسل، وزهد في الدنيا ورغب في العقبى، وبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى وتباعد عما يشغله عن طاعة الله وعن سلوك سبيل مرضاته. ومن طال أمله، وقل للموت ذكره، كان على الضد من ذلك.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في البداية: وتفكر في قصر عمرك وإن عشت مثلا مائة سنة بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهي أبدا الآباد. وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة. فكيف لا تتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد، ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك، وقدر قرب الموت وقل في نفسك: أتحمل المشقة اليوم فلعلي أموت الليلة، واصبر الليلة فلعلي أموت غدا، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وحال مخصوص، وسن مخصوصة، ولا بد من هجومه

فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا، وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة، ولعله لم يبق من أجلك إلا نفس واحـد أو يوم واحد. فكرر هذا على قلبك كل يوم، وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما يوما، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك، فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له، وإن سوفت وتساهلت جاءك الموت في وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسرا لا آخر له - وعند الصباح يحمد القوم السرى، وعند الموت يأتيك الخبر اليقين، ولتعلمن نبأه بعد حين.

الخاتمة في الجهاد

حكمه وفضله

الجهاد فرض مكتوب على المسلمين كالصوم والصلاة، والعمل به ماض إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[1] وقال صلى الله عليه وسلم: «**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**» وهو حشد القوى المادية والمعنوية وتنظيمها لمحاربة العدو بكل الوسائل التي تتفق مع الفطرة البشرية ولا تمس الشرف الإنساني. وتشترك فيه الأمة المحمدية جميعا قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]. ولا يعفى منه إلا أربعة أعفاهم الله بشروط خاصة ينتفي الإعفاء منه بانتفائها وهم:

١ - الضعفاء الذين لا يستطيعون حمل السلاح ومنهم أصحاب العاهات.

٢ - المرضى حتى يصحوا.

٣ - الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون حتى يغنيهم الله.

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦.

(٢) سورة التوبة آية ٣٦.

٤ - المتطوعون الأقوياء الذين لا يجد الإمام ما يجهزهم به ولا يجدون من يقوم بذلك بشرط أن يقوموا جميعا من وراء الجيش بالدعاية والنصيحة وأداء ما يستطيعون من أعمال.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ • إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

حكمه:

وللجهاد أحكام تختلف باختلاف الدواعي والملابسات فهو تارة مفروض على المسلمين جميعا لا يسقط عن بعضهم إذا نهض به الآخرون. وهو حينا مفروض عليهم فرض كفاية يقوم به بعضهم فيسقط عن الباقي.

١ - فرض عين:

(أ) إذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين وجب على أهل هذا البلد أن يخرجوا إلى العدو ليقوم كل منهم بما يستطيع القيام به ولا يتخلف منهم أحد سواء أكان من المقاتلين أم من غيرهم.

---

(١) سورة التوبة آيات ٩١ - ٩٢ - ٩٣.

وهذا هو النفير العام الذي يشترك فيه الجميع، المرأة والعبد والغلام والشخص الذي له أب أو أبوان سواء أذنا له أم لم يأذنا.

(ب) فإن عجز أهل هذا البلد عن صد عدوهم أو تكاسلوا عن النهوض له وجب الجهاد على من يليهم وهكذا حتى يصير فرضا بالتدريج على المسلمين جميعا.

٢ - وهو فرض كفاية:

(أ) إذا كان بعض المسلمين قادرين على الدفاع وقتال الأعداء فإن هجم العدو على بلد إسلامي وكان أهل هذا البلد ذوي مقدرة على صده فإن الجهاد ليس فرضا عينيا على جيرانهم بل هو فرض كفاية ما دام إخوانهم غير محتاجين إليهم، ولكن إذا عجزوا عن المقاومة أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تراخوا عن الجهاد صار فرض عين على جيرانهم لا يسعهم تركه، فإن عجز هؤلاء الجيران أو تكاسلوا صار فرض عين على من يلونهم. وهكذا إلى أن يصير فرضا عينيا على المسلمين جميعا.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا يجعله فرض عين دائما لئلا يشتغل به المسلمون جميعا فتتعطل مصالحهم.

(ب) وهو فرض كفاية إذا كان المسلم ممن لا يستطيع الجهاد لأنه مريض بمرض يقعده أو لأنه غير قادر على حمل السلاح أو لأنه لا يمتلك الراحلة والزاد أو لأنه من الذين أعفاهم الله تعالى.

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة آية ٤١.

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

(ج) وهو واجب على كل من علم بضعف المسلمين عن محاربة عدوهم وهزيمته وهو يستطيع أن يغيثهم لأن المسلمين كلهم يد على من سواهم ولهذا إذا استطاع أهل البلد المعتدى عليه أن يردوا عدوهم سقط الجهاد عن الآخرين.

(د) كذلك يجب على المسلمين إذا ما قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلها حتى يظهر دين الله ويصان الوطن ويُهزم العدو وليس في هذا خلاف.

فضله:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آيات ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة التوبة آية ١١١.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**».

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»[2].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**»[3] متفق عليه.

---

(١) سورة الصف آيات ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣.

(٢) الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو السير أول النهار إلى انتصافه والروحة هي السير من الزوال إلى الليل وفي رواية للشيخين أيضا: خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب. والمراد والله أعلم، أن ثواب الله سبحانه خير من الدنيا وما أودع فيها من الكنوز والنفائس انفقها المرء في ضروب البر والإحسان.

(٣) في الحديث بيان أن صغير الزمان وصغير المكان في الآخرة خير من الزمان الطويل والمكان الكبير في الدنيا تزهيدا فيها وتصغيرا لها وترغيبا في الجهاد، لأنه بهذا القليل يعطيه الله خيرا من الدنيا وما فيها، فضلا عمن أتعب نفسه وأنفق ماله، وكذا =

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**لا تستطيعونه**» فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، ثم قال: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**» متفق عليه. وهذا لفظ مسلم. وفي رواية البخاري: أن رجلا قال: يا رسول الله، دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «**لا أجده**»، ثم قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟**» فقال: ومن يستطيع ذلك؟

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

محمد بن علوي بن عباس
المالكي الحسني

= غدوة أو روحة في موضع القتال، لأن الجميع يسمى غدوة وروحة في سبيل الله، وفيه فضل الرباط وهو ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم، ويقال الرباط هو: حفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين.

المحتويات

الموضوع	الصفحة